خلف الجدران

بقلم

كواعب البراهمي

اسم الكتاب : خلف الجدران
اسم الكاتب : كواعب البراهمي
رقم الإيداع : ٢٠١٦/٢٥٠٨
الترقيم الدولي : ٩٧٨٩٧٧٨٥٢٧٥٠٨
الطبعة الأولى : ٢٠١٦
مراجعة لغوية : فؤاد عرفة
غلاف الديوان : محمد حلمي
صادر عن : مؤسسة زَحمَة كُتَّاب للثقافة والنشر
١٥ ش السباق – مول المريلاند – مصر الجديدة
www.za7ma-kotab.com
www.facebook.com/za7ma
www.facebook.com/za7makotab
za7ma-kotab@hotmail.com



مقدمة



ان علاقة الإنسان بالإنسان تختلف بإختلاف الأشخاص وبإختلاف الصلات وبإختلاف التواصل – وطبعا هي علاقات متعددة وكثيرة – ولكن ما أردت الحديث عنه في هذا الكتاب هو علاقة المرأة بالرجل وهي أول العلاقات التي نشأت في الإنسانية –قبل علاقة الأبناء بالأباء وقبل علاقات الإصدقاء وقبل علاقة الأخوة والاأحفاد والجيران.

هي العلاقة الأولي والتي ستظل حتي يوم القيامة – هي علاقة تتميز بالغموض أحيانا وبالوضوح أحيانا وبالثقة أحيانا – وبالشك أحيانا أخري بالحب أحيانا وبالكراهية أحيانا – هي علاقة متغيرة متجددة – كما أن اساليب التعامل تختلف من الأشخاص تبعا لمستواهم الإجتماعي والمادي وتبعا للزمان والمكان – ووقت العلاقة قصرت أم طالت – شرعية كانت أو غير شرعية .

لم أفكر يوما في أن أكتب هذه الحواديت التي سمعتها ورأيتها – ولكن عندما بدأت في كتابتها علي الفيس بوك – وجدت صدي واسعا وكان يصلني علي الشات تساؤلات كثيرة – وكان البعض يقول لي أنه كان سيقدم علي خطوة معينة ولكنه تراجع بعد قراءة قصتي – أو بمعني أصح وجدت أن بعض الناس يحتاج فعلا لسماع أو قراءة مثل تلك القصص – والبعض فعلا غير مجري حياته بعد قراءتها فقررت أن أضع بعضها في هذا كتاب .

وودت في هذا الكتاب أن اقدم للقارئ من واقع الحياة وهو الواقع الذي لمسته في الحياة – من الأصدقاء والجيران وعن طريق العمل .

علمت كثيرا – وقصدت في هذه القصص أن أنقلها بواقعها دون زيادة أو نقصان – وإن كنت أحيانا أضيف وجهه نظري – وكذلك وددت في ذلك الكتاب أن أكتب في هذه المقدمة أن كثيرا من النساء والرجال يعيشون

عمرا ولا يفهم بعضهم البعض – لأن كل منهما لا يقترب من الآخر كما ينبغي . بل أحيانا لا يحاول أن يفهم لماذا يتصرف الطرف الآخر بها الشكل في هذا الموقف . عموما أتمني أن ينال رضاكم وأن يحقق الغاية المرجوة منه

مع أجمل بالتوفيق للجميع

. كواعب أحمد البراهمي

الإهداء



إلى أمي، حبي الأول ومعلمتي الأولى، وددت أن أهدي إليك كل الدنيا، ولكني لا أملكها، فأهديت إليك قلبي، وأهديت إليك حبي..

حفظك الله وجزاك عني خير الجزاء..

وإهداء إلى أخي الصغير عبد الناصر، رحمك ربي وجمعنا بك في الفردوس الأعلى يا أغلي الناس على قلبي، اشتقت لك كثيرًا..

كواعب

مغامرة



هذه القصة أبطالها من بلد عربي شقيق - اتصلت بي وقابلتها لأول مرة في قاعة الاجتماعات بمكتبي بسلطنة عمان منذ خمس سنوات، استقبلتني واقفة ترتدي بنطلون جينز، وجاكت أبيض، ومحجبة، ورائعة الجمال، فاتنة فعلًا، وما يميزها ابتسامة جميلة مشرقة، وكل من رآها بالمكتب سألني عنها، من هي؟ عندما وقعت عيني عليها قلت:

- أكيد دعوى أحوال شخصية، فتاة تريد رفع دعوى على شاب لأنه غرر بها أو تزوجها عرفيًّا وتريد إثبات الزواج بالمحكمة.

ويبدو بمجرد النظر إلى وجهها أنها في السابعة والعشرين، وللحق سألتني:

- أريد كواعب المحامية..

فقلت لها:

- أنا معك..

فقالت:

- سمعت عنك ما جعلني أظنك أكبر من ذلك.

المهم أنها كانت تريد رفع دعوى نفقة شرعية لثلاثة أبناء، من أبيهم الذي تزوج بأخرى مغربية الجنسية وتركهم بلا إنفاق أو حتى سؤال عنهم.

وتبدأ فصول القصة كما روتها لي لاحقًا أنها عندما تخرجت هي من الجامعة وتخرج أيضًا حبيبها من الجامعة وتقدم لها، ووافق والدها الأستاذ الجامعي على الزواج، ونظرًا لأن الشاب لم يكن تحَصَّل على عمل في بلده فقد اتصل والدها بصديق له في سلطنة عمان وطلب منه أن يبحث لزوج ابنته عن فرصة عمل في إحدى دول الخليج.

وسافر الزوجان وعاشا سعداء وأنجبا ثلاثة أبناء تقر بهم العين خلال عشر سنوات، كان

الزوج ناجحًا وطموحًا، وبدأ يعمل محاسبًا، ثم مديرًا لشركة كبرى، وبنجاح الشركة زاد الراتب وأصبح دخله مرتفعًا، وأصبحت أحوالهم أفضل فأفضل.

وكان يستعمل سيارات الشركة الفارهة بالتبادل، ويخرج مع زوجته وأولاده للتنزه ولشراء مستلزمات الأسرة و لشراء التيك أواي من كافتيريا تعمل فيها الفتاة التي قررت أن تتزوج هذا الرجل، ويبدو أن الفتاة أغراها المال أو قررت مثلما تفعل كثير من الفتيات عندما تجد الشاب المناسب - فإنها تصوب تجاهه كل أسهمها وتستعمل كل الأسلحة وتحارب في كل اتجاه حتى تظفر بالعريس، وللأسف فإن أغلب الفتيات اللاتي يفعلن ذلك ومن جميع الجنسيات فإنهن بعد الحصول على الزواج فإنها تتركه مثل الشيء المهمل وتفعل هي ما تريد؛ لأنها تعودت على «الغاية تبرر الوسيلة»، ولأن الزواج من وجهه نظر بعض الفتيات هو الحصول على رجل من باب تأمين المستقبل وليس أكثر.

المهم أنها اختارت الهدف وخططت للوصول له حتى تزوجها دون علم زوجته الأولى، وبالتالي تغير سلوك الزوج مع زوجته بعد زواجه الجديد، وأي زوجة لديها حاسة غريبة جدًّا تستطيع بها اكتشاف الخيانة حتى مع ذكاء الزوج.

وسألت وعلمت بزواجه، وسافرت إلى بلدها، وطلبت الطلاق، وصممت عليه، وتم الطلاق، وكانت مسئولة عن الأبناء، وبعد عدة شهور تدخل أولاد الحلال وحاولوا إقناعها بوجود الأولاد بالقرب من أبيهم؟؟ فذلك أفضل لها ولهم، وفكرت ثم عادت مرة أخرى لعصمة الزوج من أجل أولادها، ومن أجل حبها الذي عاشته طوال عمرها.

وعادت إلى الدولة العربية مرة أخرى، ولكن حدث ما لم تكن تتمناه، فلقد أهملها وأهمل الأولاد، وأهمل حتى السؤال عنهم، وتركها مع الأولاد يرسل لهم المصروف مع مندوب من الشركة ولا يأتي للسؤال عنها ولا عنهم، ولا يحاول الاطمئنان عليهم، ولا يقوم

بواجباته الزوجية تجاه زوجته، وشعرت المسكينة أنها أهانت نفسها وقللت من قدر نفسها وعادت لشخص باعها فعلًا وباع كل شيء حتى أبسط حقوق زوجية لم تكن تحصل عليها حتى، ولا سؤالًا عبر الهاتف.

استشاطت غضبًا من الإهمال فقررت أن تتخذ خطوة تستعيد بها احترامها لنفسها، فسألت عن عنوان سكنه حتى استدلت على المكان، وذهبت إليه، وقالت له أمام زوجته الجديدة:

- طلقني وإلا سأفعل لك فضيحة أمام الجيران..

ونظرًا لوضعه الاجتماعي أو ربما لأنه وجد فرصة له للخلاص دون وجع قلب فطلقها، ورجعت منزلها مكسورة، ثم تركها بلا سؤال ولا نفقة.. وذلك كان سبب معرفتي بها، فقد جاءت لترفع دعوى نفقة للأولاد، ونفقة عدة لها، وتطالب ببعض الحقوق المترتبة على الطلاق.

ثم أصبحت صديقتي، كانت أجمل صديقة، رقيقة جميلة وفاتنة، كنا نلتقي - حقيقة ليس كثيرًا - ولكنني كنت أحب أن أتحدث معها، كانت إنسانة راقية، وروحها حلوة وخفيفة الدم، كانت دائمًا ذات تعليقات مازحة، وأذكر يومًا ضحكنا كثيرًا على ردها على سؤالي لها عن زوجة زوجها الجديدة:

- عندما رأيتيها هل كانت جميلة مثلك؟

فأشارت إلى صندوق القمامة وقالت لي:

- تخينة جدًّا، هي في حجم ذلك الصندوق..

حقيقة لا أدري لماذا يحدث أن ينجرف الرجل إلى أي سيدة تظهر له الحب، سواء كان صادقًا أم كاذبًا، لا أدري لماذا لا يعطي نفسه مهلة لمحاربة ذلك الغزو القادم على حياته، ربما لو تريث لحمى نفسه وأسرته وأولاده من مستقبل معقد.

تلك قصة لفتاة كنت أظنها لجمالها وأناقتها وإشراقها في السابعة والعشرين من العمر،

ولكنها كانت في السابعة والثلاثين، لقد تعاطفت معها كثيرًا وأحببتها كثيرًا، وكسبت صديقة عن طريق العمل.

احتياط واجب



في هذه القصة تحديدًا، والتي كانت سببًا رئيسيًّا في كتابة حواديت واقعية، فلطالما وجدت قصصًا وددت الحديث عنها، ولكن دومًا كانت تأخذني المشاغل بعيدًا عن الكتابة، خاصة أن عملي يأخذ كل الوقت وكل الفكر والجهد، وبالرغم من أن عملي أيضًا يعطيني مجالًا خصبًا لرواية كثير من القصص التي نشهدها في الحياة، فكثيرًا ما تكتظ المحاكم بالمشاكل، والتي بعضها لا يصدق من غرابته، إنها تحدث ولكنها تحدث دومًا؟؟.

وفي قصتي هذه أود أولًا أن أقدم نصيحة لكل صديق وصديقة على الفيس بوك، لا تتحدثوا عن حياتكم الخاصة على الشات مع كائن من كان، ولا تشتكوا همومكم إلا لمن تعرفونهم وتثقون بهم، وهذه القصة وخاصة نهايتها هي التي جعلتني أفكر أساسًا في الكتابة كما أشرت.

هي سيدة ناضجة في الثلاثينيات من العمر، تصلي وتصوم وترتدي الحجاب، وما رأيت منها إلا خيرًا، ليس لديها وقت للجلوس على الفيس بوك كثيرًا كما يفعل كثير من الناس، وليس لديها وقت فراغ لتشاهد التلفاز كثيرًا.

في المجمل هي سيدة مثل أغلب سيدات مصر العاملات، واللاتي لا يشغلهن غير البيت والأولاد، لديها أبناء وزوج وبيت وعمل، بدأت حياتها بارتباطها بشخص تقدم لها في سن ١٨ عندما كانت تسافر من بلدها للدراسة الجامعية في بلد آخر، وأعجب بها منذ الوهلة الأولى وأحبها، وتزوجته في سن ٢٢ سنة، وقد كان هذا الرجل يكبرها بثماني سنوات، وهو فارق عادي جدًّا، ولم تشعر هي يومًا بذلك الفارق.

أما أحواله المالية فقد كانت ميسرة، فلديه عمله وشقة وسيارة، أحبها منذ أن وقعت عينه عليها، وظل يحبها، ولكن بعد الزواج ومرور الأيام تغيرت الحياة كما تتغير مع الكثيرين، فهي أحيانًا حياة هادئة وجميلة

وأحيانًا حياة صعبة ومزعجة، ومنذ فترة كبيرة كانت دائمًا تشكو لي أن زوجها لا يعيرها أي اهتمام، فهو لا يتحدث معها، ولا يخرج معها، ولا يجلس معها، وحتى لا يأكلان معًا، وربما أكثر من ذلك، فهناك الكثير من الأشياء التي لا يستطيع النساء الحديث عنها أو لا تريد الحديث عنها حياءً، فقد كانت تشكو دائمًا أنها تحدثه فلا يرد عليها، ونصحتها ربما طريقة الحوار أو موضوع الحوار هو السبب.

وإن كنت لا أدري أنا ما هو السبب الحقيقي لهذا التغير في حياة كثير جدًّا من الناس، فتلك السيدة أنا أعرفها منذ سنوات، والتقيت بها منذ فترة، وكانت حزينة، مكتئبة، دامعة، وسألتها:

- ما بك؟ كنتِ سعيدة ومشرقة، ماذا حدث؟

فأجابت:

- أتذكرين الرجل الذي قلت لك إنه دائمًا يكلمني على الفيس ولا أرد عليه؟

فقلت:

- لا.. المهم ماذا حدث؟

فقالت لي:

- لقد قطعت صلتي به تمامًا، ولكني أصبحت حزينة، أكره الحياة ولا أجد لها طعمًا.

فطلبت منها أن تحكي لي القصة من البداية، فقالت:

- ظل يرسل لي ويقول لي كلامًا جميلًا عن شكلي ويهتم بي، وفي يوم كنت متضايقة جدًّا فتحدثت معه، شكوت له من إهمال زوجي لي وأنني حزينة..

فاستمع لها بكل طاقته، وطبعًا وجد الفارس المغوار من وراء الشاشة ضالته، أنشد فيها مادحًا أنها تستحق أن تكون ملكة وأن زوجها لا يستحقها، وأنها نعمة، وأنها جميلة، وأنها وأنها، وأصبح يطاردها ليل نهار بالرسائل حتى قالت لي:- ظننت أنه لا ينام..

وأصبح يبث لها حبه الذي يؤرقة وأنه لا يستطيع الاستغناء عنها، (هو يعمل في دولة عربية غير الدولة التي تقيم فيها صديقتي) ولديه أولاد وزوجة تركها في بلده.. أما صديقتي المسكينة التي حاولَتْ مع زوجها الحديث أكثر من مرة، وكل يوم ولا تجد منه ردًّا ولا اهتمامًا، تعلقت بهذا الرجل جدًّا، وشغل كل حياتها، وأصبحت تهتم بنفسها، وأصبحت تشعر أن للحياة طعمًا، وأقبلت على الحياة وأحبته، وطبعا لا بد أن يتطور الحب، فطلب منها أن تطلب الطلاق لكي يتزوجها، وهي كانت تحبه وتريد الحياة معه، وما كذَّبت خبرًا، وقامت بطلب الطلاق من زوجها، وقالت لي:

- ليه أعيش مع إنسان مش طايق حتي يبص في وشي وأترك إنسان يحبني؟

المهم أن زوجها كان عاقلًا والحمد لله، وكعادته لم يرد عليها، فهي دائمًا تطلب وتتحدث ولا يرد عليها، فأخبرت الحبيبب الذي ينتظر الجواب، فكان رده علي ذلك

(وذلك السبب الرئيسى الذي جعلني أكتب القصة):

- خلاص طالما هو رافض الطلاق، احنا ننزل مصر ونتزوج عرفي إلى أن تتطلقي..

فسألتها:

- ماذا قال؟

فكررت نفس الكلام، فقلت لها:

- وأنتِ متزوجة؟

فقالت:

- طيب ونعمل إيه؟ ما هو مش راضي يطلقني.

فقلت لها:

- هذا زنا، زنا واضح، وليس شبهة زنا.

وقلت لها:

- هذا الشخص لم يحبك أبدًا وكذاب وحقير، هذا الشخص يفعل ذلك مع غيرك كثيرات، لا تصدقي أبدًا كلامه، لا أظن أن رجلًا في سن الأربعينيات لا يعرف أن الزواج بمتزوجة حرام، أحسن إنك قطعتِ صلتك به واحظريه.

فقالت لي بأنها لا زالت متعلقة به رغم أنها ابتعدت عنه، فقلت لها:

- احمدي ربنا أنه في بلد وأنتِ في بلد، ربما لو كان قريبًا لجرك إلى طريق التهلكة.

وقلت لها:

- تذكري أن زوجك رغم كل بعده عنك لم يطلقك عندما طلبتِ منه الطلاق، وحاولي أن تجدي أي شيء جميل في حياتك..

وأعطيت بعض النصائح، ولكن صدقوني أنا حزينة من أجلها ومن أجل مثيلاتها، لماذا يهمل الرجل زوجته إلى هذا الحد ويطالبها بالإخلاص؟ لماذا يتحدث مع كل البشر إلا

هي؟ كلمة بسيطة جميلة حتى ولو كانت كذبًا تغير الحياة للأفضل، لو علق على شكلها أو لبسها أو حتى طعامها بأي كلمة لأسعدتها، قليل من الاهتمام يعطي كثيرًا من السعادة، وإن كان المفروض أن يكون كلٌّ الاهتمام لشريكة الحياة.

أرجوكم لا أريد تعليقًا بأن الفيس بوك أفسد البيوت وأفسد النساء، فأنا لا أريد غباء، حاولوا حل مشاكلكم بطريقة عملية حقيقية مفيدة، وحاولوا البحث عن السبب الرئيسي للفشل لتصلوا إلى الحل السليم، ولا أريد من يقول إنها يجب أن تتقي ربها وتحافظ على بيتها و... ولماذا لا يتقي الرجل ربه ويحافظ على بيته؟ لماذا دائمًا تطلبون أن تحاول المرأة أن ترضي الرجل؟ ولماذا لا يحاول هو إرضاءها؟

تلك قصة من مئات القصص التي تختفي وراء الأبواب المغلقة، ولا يجد أصحابها حلولًا لها، وتمضي الحياة وينتهي العمر ولا يستطيع الشخص أن يعيش سعيدًا.

الارتباط الثاني



عندما يفشل الارتباط الأول، ويكون السبب الرئيسي لنهاية العلاقة هو خيانة الزوج، وإهماله لزوجته وتركه لها – شيء ما يحدث داخل الزوجة، شيء ما يحطم الأشياء الجميلة بداخلها؛ لأنه غالبًا عندما تتزوج المرأة عن حب، فإنها تعطي للعلاقة كل حياتها، وتخلص إلى أبعد حد، ولكن عندما تحدث الخيانة فإنها تفقد توازنها، وتفقد إحساس الأمان والطمأنينة، وحتى عندما تقابل شخصًا آخر لا تستطيع أن تطمئن؛ لأن دائمًا شيئًا ما يقف بينها وبين الزوج الثاني، فقد أصبحت تخاف ألا تترك قلبها يطمئن اطمئنانًا كاملًا، وأصبحت دومًا تخاف شيئًا مستقبلًا.

وفي هذه القصة أتحدث عن شاب وفتاة جمع بينهما العمل، وجمع بينهما الحديث عن الأدب والشعر؛ حيث إن كلا منهما يكتب الشعر، وكانت قصة حب شهد لها كل المحيطين

بالنجاح، وتكللت بالزواج، وبالرغم من عدم وجود أولاد بينهما إلا أن الحب كان كفيلًا بأن يعوضهما عن أي نقص، واستمر الزواج سنوات سعيدًا ناجحًا إلى أن تغير حال الزوج وأدخل في حياته نساء أخريات، مرة من باب الإعجاب، ومرة من باب كونهن عميلات بمكتبه.

وبالرغم من أنه عندما عمل خارج بلده ما استطاع أن يبتعد عن زوجته، كان يحبها، ويشعر أنها أمه رغم أنها تصغره، كان يحادثها يوميًّا، وحاول جاهدًا أن تكون معه في أسرع وقت ممكن، وقد كان، فلقد لحقت به بعد أربعة أشهر من سفره للخارج، ولكن لا تأتي الرياح دائمًا بما تشتهي السفن، فقد تدخلت المغريات وتدخل المغرضون، وعندما ظهرت في حياته فتاة أخرى لم يخبر تلك الفتاة أنه متزوج؛ لأنه أراد أن يكون بينه وبينها شيء، وكانت هذه الدخيلة قد أعدت خطتها.

قالت له في البداية أنا صديقة لك فقط، وكان ذلك هو الفخ المنصوب للحصول على زوج يعمل بالخليج، وباعتبار الصداقة بينهما موجودة كما أوهمته فقد كان الحديث معها في كل نواحي الحياة، وتغير حاله كثيرًا، واكتشفت زوجته التغيير الذي حدث، أقنعت نفسها في البداية بأنه ربما يكون عنده مشاكل بالعمل، أو أنه مشغول ببعض مشكلات أهله، وحاولت جاهدة أن تسترده، ولكنه كان مندفعًا كالقطار، عانت كثيرًا، وحزنت كثيرًا، وبعد طول عذاب قررت الطلاق.

لم يتوقع أبدًا أنها ستصر على الطلاق، كان يتوقع أن يستمر مالكًا لها، كان حبها له يجعله يظن أنها ستقبل منه أي شيء وأنها سوف ترتضي منه أي فعل، ولكن ما حدث عكس ما توقع، فقد صممت على الطلاق، وعانت كثيرًا من آلام الفراق وآلام الخيانة، أحست بعمق الجرح في أنوثتها وقلبها، وصبرت واحتسبت.

ولكن دائمًا لا تظل الدنيا على حال، لا بد أن يكون هناك للظلام نهاية، وأن يكون لليل صباح، وأن تكون هناك شمس، ويومًا ما وجدت من يقول لها بأنه يحبها، لم يكن هو الوحيد الذي قال لها ذلك، فقد قرأتها كثيرًا في رسائل، ولكن لم تصدقها، ولكن عندما قرأتها في تلك المرة لا تعرف لماذا صدقته، ولا تعرف لماذا أحبته، كان قدرًا مكتوبًا أن يدخل حياتها البائسة، سعدت كثيرًا ولكن السعادة دومًا ناقصة، شيء ما بداخلها يشكك في ذلك الحب، شيء ما يقول لها إن الرجال كاذبون، لا تصدقي، ولا تستسلمي، ولا تثقي، شيء كبير من الخوف من أن يحدث ما حدث سابقًا؛ لأن الرجال تعودوا على الغدر، وعندما يريدون شيئًا يجدون له ألف باب وألف سبب لكي يفعلونه، هم دائمًا يرون أنفسهم على صواب، هم دائمًا يريدون أن يحصلوا على الكمال.

أصبح حبها ممزوجًا بالخوف، كلما تكلم حبيبها فإنها تسمع منه نفس الكلمات، ولا

تعرف لماذا يكرر نفس الكلمات بالحرف وكأنه يقوم بنفس المشاهد التمثيلية، وتشعر أنها تعيش عمرها السابق للمرة الثانية، كأنما هي فيلم لنفس القصة، ولكن الأبطال مختلفون، أحيانًا تشعر أنها لا بد أن تنتهي حياتها تلك لأنها سوف تنتهي كما انتهت الأولى، وأحيانًا تقول إن الله قادر على أن يجعل زوجها مخلصًا لها، أصبحت حياتها مضطربة، مملوءة بالمنغصات، وكأن الحياة لا تريد لها أن تنعم بالسعادة والهناء، أصبح هاجسًا عندها وخوفًا من أن تغمض عينيها لتصحو على جرح جديد، أصبحت سعادتها ناقصة، ينقصها شيء جميل جدًّا، ومريح جدًّا، ونقي جدًّا، اسمه الأمان، والذي دومًا عندما نفقده لا يعود كما كان مرة أخرى.

الأمان



لماذا دائمًا تبحث المرأة عن الأمان ويبحث الرجل عن الحنان؟ هل لأن المرأة بطبيعتها كأم هي مصدر الحنان والرجل بطبيعته كأب يوفر الأمان؟ هل تستطيع المرأة الآن أن توفر الأمان لنفسها ولمن حولها مع التقدم في اختراع الأسلحة للدفاع عن النفس وسهولة استعمالها من قبل الرجل والمرأة على السواء؟ أم ما زالت ترى الأمان في جانب الرجل؟ أم أن الأمثال القديمة التي كانت تتناسب مع العصر حينها هي التي صنعت ضعف المرأة مثل (ضل راجل ولا ضل حيط)؟

إن الذي رأيته من المجتمع ومن عملي وصداقاتي مع كثيرات من جنسيات مختلفة أن ما يحتاجه كل طرف من الآخر على قدر سواء، فكل منهما يحتاج للحنان وللأمان، فالإنسان بطبعه ضعيف مهما كان قدره من التعليم، أو من القوة، أو من السلطة، أو من

الجاه، دائمًا يحتاج لإحساسه بأن هناك شخصًا يهتم لأمره، ويخاف ويحنو عليه، يحتاج لأن يشعر أنه عندما يحتاج لمن يسمع له يجده، وعندما يحتاج لمن يساعده يجده قدر استطاعته، وعندما يحتاج للنصيحة يجده، وعندما يحتاج لمن يشاركه أفراحه أو أحزانه يجده، وعندما يطلب منه يطلب دون حرج ودون مقدمات كثيرة، شخص يشعر أنه قريب مهما بعد عنه، شخص لا تأخذه منه مشاغل الحياة مهما كثرت، له في حياته وجود ولو غير كثير، يعطي لحياته مذاقًا خاصًّا مختلطًا لا تستطيع أن تصفه، قد يكون شعورًا بالأمان أو شعورًا بالحنان، إنه في كل الأحوال هو شعور جميل يجعلك تتغلب على أي متاعب في حياتك ويعطي للحياة معنى.

الانتقام



كنت دومًا أسمع وأقرأ عن الشاب المنتقم أو الشابة المنتقمة، ولكن لم أقابلهما في حياتي مطلقًا، حتى تقابلت مع صديقة لي من الوجه البحري، كانت في بلدتنا عندما عرفتها، واستمرت صداقتنا حتى بعد عودتهم لبلدهم، التقيت بها بعد أن افترقنا بعشر سنوات، ثم بعدها بثمانية عشر عامًا، كان أولادها قد كبروا، تحدثنا في أشياء كثيرة، ومن بعض الأحاديث قالت لي بأنها حزينة على ابنها؛ لأنه تغير كثيرًا، أصبح طبعه حادًّا، ولا يعاملها بالحسنى مثلما كان، لا يتحدث معها، ولا يعامل إخوته البنات بالرحمة ولا باللين، ودائمًا يقول بأن المرأة تستحق أسوأ معاملة.

وقصته تبدأ عندما أحب فتاة وعشقها إلى درجة الجنون، وكان دائم الحديث معها، وأظهرت له أنها تبادله نفس المشاعر فتقدم لها، وهو شاب وسيم ومن عائلة ميسورة،

وبه من الصفات ما يجعل أي فتاة توافق عليه، وقبل أن يتم شيء تقدم لها شاب آخر، مستقبله من وجهه نظرها أفضل، أو من وجهه نظري أنا الشخصية، كانت تشجعه لأنه الوحيد الموجود، وعندما ظهر الآخر فاضلت بينهما واختارت الأفضل من وجهة نظرها، وتركت هذا المحب.

تعب كثيرًا، وبكى كثيرًا، وحزن كثيرًا، ثم استفاق إنسانًا آخر، أصبح كل هدفه وكل حياته كلما رأى فتاة يحاول أن يشغلها بكل الطرق، وعندما يتأكد أنه وصل إلى قلبها أو أنه شغلها بالفعل يتركها، ولا يرد على مكالماتها، ولا يتيح لها فرصة أن تراه أو أن تحدثه، ويتحول إلى ضحية جديدة وهكذا، قالت صديقتي:

- قلت له حرام.. اتق الله في بنات الناس، هذه ذنوب سيحاسبك عليها ربك..

ولكن لا حياة لمن تنادي، كل ما يقوله لها:

- إن المرأة لا تستحق إلا أن تعامل بمثل تلك المعاملة..

ولا زال يدور في ساقية الجروح، ولا يهمه أن تتأثر به الفتاة أو ألا تتأثر، ولكنه في طريقه للانتقام، دعوت الله له بالهداية، وقلت لأمه ادعي له بالهداية، فربما دعوة تصاحب بابًا مفتوحًا في السماء، ولعل الله أن يرسل له ما يفرحه وينسيه انتقامه.

الثقة



يظن كثير من الرجال أنه لكي يحافظ على زوجته أو على أخته أو أي أنثي لديه، أن يُحكم عليها قبضة يده، أو أن يضعها داخل جدران مغلقة، ظنًّا منه أنه هو الذي يستطيع حمايتها، ولكني أود أن أقول بأنه لا أحد يجبر أحدًا على الإخلاص له، ولا أحد يجبر أحدًا على الخوف من الله، ولا أحد يجبر أحدًا على أن يتقي الله فيه.

فتلك سلوكيات تنبع من داخلنا نحن، وودت أيضًا أن أقول إذا أراد شخص أن يحفظ الله له أسرته فليحافظ هو على أعراض الآخرين، فكثير من الأخطاء ترتكب وكثير من المعاصي ولا يعلمها إلا الله، فيغفر لمن يشاء، وينتقم ممن يشاء في الدنيا، أو يؤخر العذاب إلى الدار الآخرة.

وأقسم بالله العلي العظيم، عند كتابة هذه القصة تحديدًا ترددت كثيرًا جدًّا جدًّا، أولًا خوفًا من أن أبث روح القلق والشك في قلوب أناس مطمئنين، وثانيًا خوفًا من أن أتسبب في حدوث اتهامات تقوم على الشك وليس على اليقين، ولكن في نهاية الأمر قررت أن أكتبها، ربما ليفكر الذين يبعدون عن أسرهم كثيرًا، في كم العناء الذي تعيشه الزوجة بعيدًا عن زوجها، وليتدبروا أمورهم..

فربما يضيع العمر ونحن نجني المال، ونعيش في دوامة السعي وراء لقمة العيش، ويمضي منا العمر دون أن ندري، والعمر الذي يمضي لا يعود أبدًا ولا يعوض.

وهذه قصة لشاب كان يعمل بإحدى الدول العربية بعد تخرجه مثلما يفعل أكثر الشباب، تزوج وعاش مع زوجته الإجازة المسموح بها، وسافر إلى الدولة العربية حيث عمله، وعاود الإجازات وعاود السفر كل عام مرة، ونظرًا لخوفه على زوجته من الفتنة أو للحفاظ عليها خلف جدار مغلق مأمون من

وجهة نظره، فقد قرر أن يتركها في شقتهما، والتي هي في منزل أهله؛ لتكون قرب والدته، ومع أخيه وأسرته الذين يقيمون في شقة في نفس المنزل، كانت شقته في الدور الثاني، وشقة أخيه وزوجته وأولاده في الدور الثالث، وشقة أمه في الدور الأرضي، وكان ذلك يشعره بالاطمئنان.

وفي يوم من الأيام زوجة أخيه تنزل من شقتها لتجد باب شقته مفتوحًا، فدخلت، ولكنها رأت منظرًا لم تكن أبدًا تتخيل أن تراه في حياتها، وجدت زوجها منكبًّا على زوجة أخيه، فزعت، تسمرت في مكانها، لا أحد يستطيع وصف شعورها أبدًا، إلا من عاش نفس الموقف بالضبط، توسل إليها الأخ (الذي هو زوجها) أن تصمت، ألا تذكر شيئًا؛ لأن الذي حدث شيء لا يتصوره عقل، ولأن الكل ساعتها سينتهي؛ لأن ذلك حدث بالصعيد.

لن أضع نفسي حكمًا، ولن أقول إن الأخ خان الأمانة التي وضعها أخوه في عنقه، ولن

أقول إن الزوجة خائنة، ولن أقول إن زوجته قصرت معه فبحث عن بديل.لن أقول أي شيء من ذلك، ولكن رأيي الشخصي أن الاحتياج يؤدي أحيانًا للخطأ أو للوقوع في المحظور، وليس ذلك مع كل الناس، ولكن لا أستطيع الحكم على احتياجات البشر، ولا تقييم حالاتهم.

ولكن ما أقوله إنه كان لا بد أن يُعالج ذلك الأمر، أو بمعنى أصح كان لا بد أن توضع الحلول التي تحافظ على كيان الأسر، عند وضع قوانين العمالة في الخليج، فليس كل البشر في طاقة تحملهم سواء، وبعض الذين يعملون بالخارج وهم الأصح أو هم الذين على صواب طبعًا، بعضهم يضحي ببعض المال ويقتطع إجازة من عمله وحتى بالخصم من راتبه ليزور أسرته؛ زوجته وأولاده، ولا بد أن تكون هناك حلول، تساعد في منع الناس من الوقوع في مثل هذه الأخطاء، فيكون الحل إما أن تذهب الزوجة مع زوجها للخليج أو أن تكون إجازته على الأقل كل ستة

أشهر، بالطبع هو وقوع في زنا، ومن أقرب الناس، وأكثر الناس حرصًا على عرض أخيه.

ولكنه حدث، بالطبع سوف يجازي الله المخطئ بالعفو والغفران، أو بالقصاص أو بالانتقام، فذلك جزاء السماء، ولا نتدخل به، فكلاهما محصن، ولا ندري أتلك أول مرة أم سبقتها مرات، ولا ندري أي شعور يشعر به شخص وهو ينتهك حرمة منزل أخيه، وكيف تتعامل زوجته معه ومع (سلفتها) بعدما رأت بعينها ما حدث، ولكني لا أريد الخوض في الحديث أكثر من ذلك، فقط طرحت الأمر؛ لأنه حدث فعلًا.

الحب الذي كان



عندما كانا في سن الطفولة طلب ابن العم من ابن عمه أن يتزوج ابنه من ابنته، وذلك كان يحدث كثيرًا في قرى صعيد مصر، ويحدث كذلك في كثير من الدول العربية، بل يحدث في الهند مثلًا وتركيا، ولكن قصتنا في الصعيد، وقد وافق أبوها على ذلك، فهو لن يجد لابنته أفضل من ابن ابن عمه ليزوجها له، وذلك طبعًا من وجهة نظره هو، ولأنه غالبًا ما تقوم الزيجات في الصعيد على أسس مختلفة عن بعض المناطق، منها القرابة، والانتماء لنفس العادات، ومنها أحيانًا طمعًا في الاستحواذ على الميراث.

ومرت الأيام وتوفي الأب، وكبرت البنت وكبر الولد، وقام العم الأكبر بعمل خطبة حضرها البعض من الأهل على أساس أن فلانة سوف تُزَفُّ إلى فلان بعد سنة، ورفضت البنت ذلك؛ لأنها أساسًا ما كانت ترى الخطيب كثيرًا، فهو

يعيش في قرية أخرى، وكانت لا تحبه، وكذلك كانت ترى ابن خالتها يوميًّا، وتتحدث معه، فتعلقت به كما تعلق قلبه بها أيضًا، وكل منهما أحب الآخر.

وعندما تم تحديد موعد لقراءة الفاتحة والخطبة على العريس المتفق مع والده منذ الصغر، تقدم لها ابن الخالة، ولكن العم الكبير قال بأنه يريد أن ينفذ وصية والدها الذي توفي، وقد كان موافقًا على هذه الزيجة، وقال كيف يرجع في كلمته وكان قد وافق على تلك الخطوبة، وتحديد موعد الزفاف أمام الناس، إن التقاليد في عالمنا الريفي الصعيدي مقدمة على أشياء كثيرة، وللأسف ربما مقدمة على الشرع والدين، وذلك ما حدث فعلًا.

وحاولت الفتاة جاهدة أن تتنصل من ذلك الموضوع، ولكن دون جدوى، وتم تحديد موعد الزفاف، ولكن ابن خالتها لم يستطع تحمل الموقف وسافر مهاجرًا إلى القاهرة، وترك الأهل والقرية ومكث هناك يعمل في المعمار تاركًا العمل في أرضه وأرض والده،

وتزوجت الفتاة رغمًا عنها، وتحقيقًا لإرضاء الأهل، وعدم القدرة على كسر التقاليد.

وذهبت إلى بيت زوجها الجديد، ولكنها مرغمة، وعاشت فترة بسيطة وهي كارهة لكل شيء، حتى حقه الشرعي كان يأخذه منها رغمًا عنها، وكان يضربها في حالة الامتناع، وتحولت الحياة لجحيم لا يطاق وعذاب غير محتمل، وذات يوم هربت من منزل الزوج وعادت إلى أهلها في البلدة الأخرى، وعندما ذهب ليستردها قالت لأهلها بأنها سوف تنتحر لو أعادوها إليه دون رضاها.

ولم يستطع أهلها أن يعيدوها رغمًا عنها بعد أن رأوا آثار الضرب والإيذاء الذي لحق بها، وجلست في منزل الأسرة خمسة أعوام، ودائمًا كان يرسل لها بعض الناس ويحاول أن يعيدها إليه، ولكنها كانت لا تقبل، وهو استمر ينتظر عودتها ولم يتزوج بغيرها.

وذات يوم قابلتها وسألتها عن أحوالها وعلمت أنها لا مطلقة ولا متزوجة، وقلت لها بأني سوف أقيم لها دعوى للحصول على الطلاق، ولكني كما أعلم أحوال المحاكم فهي تشترط حصول الضرر لكي تتمكن الزوجة من الحصول على الطلاق، والضرر يخضع للسلطة التقديرية للمحكمة في حالة عدم وجود الأسباب التي نص عليها قانون الأحوال الشخصية.

وفكرت في أن أجعله يطلقها هو دون اللجوء إلى دعوى التطليق، فدعاوى التطليق للرجل الصعيدي لا ينظر لها من وجهة النظر القانونية على أنها حق للزوجة كإنسان، ولكن يأخذ الأمر على كرامته، وأن تعبير الزوجة عن رغبتها في عدم استمرارها معه ينتقص من رجولته، (ما أغرب الرجل! فعندما يريد أن يتزوج بأخرى دون سبب لا يجد نفسه أبدًا مقصرًا مع الأولى، ولا يجد نفسه أبدًا أنه ينتقص من أنوثتها، ولا أنه يهينها في مشاعرها)، المهم فكرت أن أقوم

برفع دعوى نفقة عن الخمس سنوات، ودعوى تبديد عن المنقولات الزوجية، وبتلك الحالة أكون طالبته بمتعلقات مالية فوق طاقته.

وما توقعته حدث، فعندما تسلم الإعلان بالدعويين ذهب لأهلها يريد عودتها، فأخبروه أنه من الأفضل أن يطلقها مقابل التنازل عن حقوقها، فقام بطلاقها على الإبراء، بأن تنازلت له عن كل شيء، وقد حصلت على حريتها بعد خمس سنوات كانت فيها كالمعلقة.

ولكن ليس دومًا ما يتمناه المرء يدركه، فقد لاحظت عليها أنها أصبحت لا تريد الزواج بابن خالتها، وسألتها عن السبب، فقالت:

- كان شعور أطفال صغار، ولكني الآن نسيته.

ولكنني علمت السبب الحقيقي بعد ذلك، فلقد تعلق قلبها بشخص آخر متزوج، ولكنه لا يعلم أنها تعلقت به، ولكنها تعلقت به فعلًا،

وعاد الحبيب القديم بعد كل تلك الفترة فرحًا يريد الزواج بمن أحبها، وعندئذ لم ترفضه ووافقت طبعًا، ليس لأنها تحبه كما كانت، ولكن لأنها لا تستطيع رفضه، فهي لم تستطع مواجهة المجتمع بقصة حب جديدة، وخاصة أنها من طرف واحد، وأن الطرف الثاني لا يعلم عن تلك المشاعر شيئًا، وربما لو يعلم فهو علم كعدمه؛ لأنه لم يبادلها مشاعرها، ولا يستطيع أن يتقدم للزواج بها.

ولأنه من الأفضل في كل البلاد العربية وفي صعيد مصر خصوصًا أن يكون للمرأة زوج، من باب (ظل رجل ولا ظل حيط)، ومن باب أن تجد من ينفق عليها، ومن باب أن الأهل يطمئنون أن ابنتهم في عصمة رجل، فقد تزوجت ابن خالتها؛ لأن الزواج كما يقولون سترة.

وبدأت حياة جديدة، ولكنها حياة تفتقد إلى الروح، تفتقد إلى السعادة، سبحان الله! لا تأتي الرياح دومًا بما تشتهي السفن، وأنجبت

ابنها الأول بعد زواجها بفترة، وقابلتها مرة أخرى، وسألتها عن أخبارها، قالت:

- الحمد لله كويسة..

ولكن لم تكن بذلك الرونق القديم، كانت مثل أغلبنا من البشر نعيش لأن لنا في العمر بقية، ولكن شتان بين أن يعيش الإنسان وهو يحب الحياة وفي كل لحظة من حياته أمل، ومن أجل أن يعيش وهو فقط يعد الأيام التي تمضي، ولكن في كل الأحوال الحمد لله على كل شيء.

عندما أتذكرها أقول: هل لو تزوجت من البداية من الشخص الذي تعلق بها وتعلقت به لكان الوضع أفضل؟ هل العادات والتقاليد في الصعيد مقدمة على رأي الشرع الذي يرفض أن تتزوج الفتاة رغمًا عنها؟ وهل الحب وحده يكفي لقيام أسرة سعيدة؟ وهل لو كان زوجها الذي تم فرضه عليها في بداية حياتها عاملها بلطف ولين ورقة كان استطاع استمالة قلبها؟ كما أتساءل دائمًا وأقول: لماذا

يقبل شخص الزواج بفتاة متعلق قلبها بشخص آخر وهو يعلم ويعرفه ويعرفها؟!

كل تلك الأسئلة تدور برأسي، ولكن بقي شيء واحد بداخلي، أن تلك الفتاة غير محظوظة، وأن الأقدار مكتوبة، وأنه ربما بعض الناس لديها نعم كثيرة، ولكنها لا تدركها ولا تشعر بها، وأتذكر أيضًا فيلمًا من بطولة نجلاء فتحي عندما هربت يوم زفافها لكي لا تتزوج شخصًا غير حبيبها، وقابلت في رحلتها حسين فهمي وأحبته، ولكن عندما رجعت منزل أهلها وجدت أهلها قد وافقوا على الحبيب الذي كان، ولكن والدها يوسف وهبي علم بحبها الجديد، عندئذ طلب منها أنه تهرب في هذه المرة من الحبيب السابق لكي تتزوج الحبيب الحالي، فعلًا تقدم السينما كثيرًا مما يحدث في أرض الواقع، وأعود وأقول: لا تعطي الحياةُ الإنسانَ دومًا ما يريد، ولكن الأقدار هي أفضل ما كتبه الله للإنسان، فالحمد لله دومًا.

الربيبة



تلك القصة كنت أسمع مثلها في الأفلام، لكن على أرض الواقع لم أسمع عنها إلى أن اتصلت بي صديقة لي من دولة عربية، ولكنها موجودة في البلد التي أعمل بها، وكنت بالمكتب، وقالت لي بأن زوجها قبل ابنتها والتي هي ربيبته في فمها وتحرش بها، وصراحة في البداية لم أعرف ماذا أقول ولا ماذا أفعل، وأكملت حديثها بأنها تريد مني رفع دعوى تطليق.

في البداية نصحتها بالتروي وإن كنت مقتنعة أن الطلاق هو الحل الأفضل والأمثل في تلك الحالة من الخيانة الدنيئة، ولكني أخبرتها أن تبعد البنات عن ذلك الرجل وأن تظل بناتها دومًا تحت عينيها، وسألتها:

- هل عرف أنك عرفتي؟

فقالت:- أيوة، لقد تشاجرت معه ولم ينكر..

وقلت لها:

- اتركيني فترة أفكر وسأقول لك ماذا تفعلين..

وعدت إلى المنزل، وطوال الطريق وأنا أفكر، كيف فعل هذا الجبان ذلك؟ ولماذا فعله؟

وتبدأ القصة عندما كانت صديقتي مطلقة من زوج يحمل الجنسية السعودية، وهي في سن الخامسة عشرة، ثم طلبت الطلاق منه بعد زواجه عليها من ابنة خالته، وعادت إلى بلدها لتكون مع والدها، وكانت تزور والدتها في إحدى دول الخليج؛ حيث تقيم والدتها وتعمل هي وزوجها في هذا البلد العربي (فقد تزوجت والدتها من زوج آخر غير والدها)، ثم تقدم لها شخص عربي يكبرها بحوالي أربعين عامًا، وتزوجته وعاشت معه فترة أنجبت خلالها بنتين، ثم طلبت الطلاق وعادت لبلدها للعيش مع والدها وزوجته، وتعرف عليها شاب يصغرها بعشرة أعوام، وقال لها بأنه يحبها، وتزوجته وأنجبت منه ولدين، ثم حدث ما حدث في بلدها سوريا، فطلبت من

والد بناتها أن يساعدها في وجود فرصة عمل لزوجها وأن تأتي للخليج حيث الأمان.

وجاءت للخليج مع ولديها وزوجها، وطلبت من والد بناتها أن يعطيها البنات لتربيهن مع إخوانهن، وأنهن سيكن قريبات منه وتزرنه دومًا وفي أي وقت، ووافق والد الفتيات الخليجي، وعاشت هذه الأم مع بناتها وأولادها وزوجها الجديد، وطبعًا لم تفكر يومًا أن يحدث شيء من هذا القبيل، لم تفكر أن زوجها سينظر إلى ابنتها، والتي عمرها خمسة عشر عامًا تلك النظرة البهيمية، فلديه زوجة جميلة تهتم به وبنفسها، وبالطبع لن يكون غرضه الزواج من البنت؛ لأنها محرمة عليه تحريمًا دائمًا بزواجه من أمها.

ولا أدري ماذا أراد بهذا السلوك الشائن، هل كان يظن أن البنت لن تخبر أمها أو أنها ستحبه؟ فلو أحبته الفتاة لن تتزوجه، ولو كرهته فلن تستطيع التعامل معه، والأسوأ أن أمها علمت بذلك، وطلبت مني المشورة، وما عرفت ماذا أقول لها، فالمفروض أن تطلب

الطلاق، وفي تلك الحالة الأولاد الصغار من حق الأب في الحضانة طبقًا للقانون، وحسب سنهما، وسوف يصمم على أخذهم ضغطًا على الأم، ويعود بهما إلى بلده؛ حيث الدمار وعدم الاستقرار، ولو قالت لأهل البنت عما حدث وعرف أهل البنت لأخرجوا زوج الأم من البلدة، وعاد إلى بلده، وسوف يصمم على أخذ الولدين معه، فقلت لها:

- اتركي البنات مع والدهم ويتزاورون معك..

فقالت بأنها تخاف عليهم وتريدهم بالقرب منها؛ حيث إنهن في سن المراهقة، وأنا أرى أن وجود البنات بعيدًا عن ذلك الرجل أفضل، ولكن الآن ما شغلني فعلًا هو كيف تتعامل الأم مع هذا الزوج الذي أراد تدمير ابنتها؟ وما أريد قوله هو أن الحرص في كل الأمور واجب، وحتى مع وجود الثقة.

الرحيل



أعترف أنني مثل جميع النساء عندما أحب، وذلك لأن النساء يختلفون عن الرجال؛ لأن المرأة عندما تعشق تعطي بلا حدود، وتسامح وتغفر بلا قيود، ولكن عندما تصدم في حبها فإنها أمامها طريقان؛ إما الانتقام وإما الصمت والابتعاد.. فغالبًا لا تستطيع مواجهة من تحب وتقول له كيف خنتني؟! وحتى إن قالت ذلك فهي لا تقصد معرفة كيف تم الأمر، ولكنها تتعجب من حدوثه بمثل تلك السهولة.

ولكن الحقيقة غير ذلك، فهو ليس أمرًا سهلًا على الرجل، ولكنه ينجرف إلى حب آخر انجرافًا غالبًا ما يظن أنه يملك مقاليد الأمور، وغالبًا ما يظن أنه يتسلى أو أنه يريد اكتشاف

أمر جديد، وعندما يبدأ في الاستكشاف والتقارب لا يستطيع أن يضع على قلبه قيودًا حديدية، ولا يستطيع أن يبتعد عن مجرى التيار، فينجرف - البعض منهم قبل الانجراف يحاول أن يخرج إلى الشاطئ – ربما بدافع الحفاظ على كيان الأسرة، وربما بدافع الخوف من المجهول، وربما بدافع القيل والقال، وملامة المحيطين به على فعلته، وربما لأنه لا يستطيع الإقدام على تلك الخطوة ماديًّا.

ولكن لا أظن أن حبه لزوجته أو لخطيبته أو للمرأة التي يرتبط بها هو السبب في البعد أو هو الذي يمنعه من اتخاذ خطوة نحو الحب أو الاهتمام الجديد أو الغزو القادم؛ لأنه لو وُجد حب ما استطاع إطلاقًا محاولة معرفة الشخص الذي يريد اقتحام حياته، ولحاول أن

يوصد الأبواب في مواجهة الغزو القادم قبل أن تتحول حياته إلى ساحة معركة غالبًا نهايتها يكون هو الخاسر، مهما ظن أنه يكسب، إلا في حالة واحدة، أن يكون الحب القادم هو حب حقيقي صادق وليس حبًّا ناتجًا من تأثير الطرف الآخر عليه.

وهؤلاء الذين ينساقون وراء المشاعر المزيفة دائمًا ما يخلقون ألف سبب لهروبهم ولتعلقهم بالغزو الجديد، وغالبًا ما يظهرون عيوب أحبائهم، وكأنهم لم يروها من قبل، وعندما يتحدثون عن سبب تغيرهم يلصقون السبب بالضحية، ولا يكون لديهم القدرة ولا القوة على مواجهة أنفسهم بصدق، ولا مواجهة الآخرين بصدق.

ويتعاملون مع من أحبوهم سابقًا بإحدى طريقتين؛ الأولى الشفقة عليهم، والتواجد معهم بلا مشاعر، والثانية هو الهجوم الدائم عليهم ومحاولة التقليل من شأنهم واتهامهم بأنهم هم السبب الرئيسي في تعاستهم المتوهمة طبعًا.

وإذا استمر الزواج بين الاثنين يكون أمرًا مفروغًا منه، وكأنه شيء مسلَّم به بلا روح أو حياة، أو ينتهي الزواج وتخسر المرأة أولًا ثم يأتي دور الرجل ليخسر، ولكن يكون قد فات الأوان، ويكون ذلك هو الرحيل لمشاعر جميلة ضاعت من أجل مغامرة أو تجربة حب جديدة، وقد يكون رحيلًا معنويًّا بالابتعاد وعدم التحاور والحديث، وقد يكون رحيلًا حقيقيًّا بالطلاق، وفي كل الأحوال هو رحيل للسعادة.

الزواج والقدر



طلب مني أحد الأصدقاء في رسالة خاصة على الفيس بوك بعد مقالتي «سن الرشد» الحديث عن زواج الأقارب، وطلب مني صديق آخر الحديث عن الزواج بالضغط أو بمعنى أصح الزواج بناء على رغبة الأهل المتعارضة مع رغبة الشاب أو الفتاة، وعندما قلت له إن هذا الأمر كان قديمًا وأن الوضع تغير حاليًّا بتغير الأحوال والتطور والتعليم ملأ لي الصفحة بهذا اللفظ «لا لا لا».

وعادت بي الذاكرة إلى يوم كنت على متن الطائرة مسافرة من مسقط إلى الأقصر، وفي حالة السفر إلى الأقصر تتغير الطائرة في مطار الدوحة، وجاء مقعدي بجوار شاب ذاهب إلى قنا، على ما أذكر اسمه عبد الرحمن، يبدو عليه الهدوء والأخلاق الحسنة، وكان يعمل في مجال البترول في دبي، فكان يأخذ شهرًا عملًا وشهرًا إجازة

مدفوعة الأجر، والغريب أنه كان متضايقًا جدًّا، وقال لي بأنه يكره السفر، فتخيلت أنه يترك أسرته في دبي، وسألته وعلمت أنه يذهب إلى أسرته وأهله في قنا، ولكنه غير سعيد بالسفر، وظننت أنه لا يحب الغربة، وقلت له:

- أنت لا تعتبر مغتربًا حيث إنك دومًا في مصر..

وفاجأني قوله بأنه لا يحب السفر إلى بلده لأنه متزوج من إنسانة مفروضة عليه، وبالرغم من أنها تحمل كل الصفات الطيبة كما شهد لها بذلك إلا أنه يشعر أنها مثل أخته، وسألته:

- لماذا تزوجتها إذن؟! ما الذي جعلك تقدم على هذه الخطوة؟!

وكان واضحًا أن سنه لا يتجاوز السابعة والعشرين من العمر، أي من وجهة نظري ما زال أمامه وقت ليختار، ولكن كانت إجابته أنه كان خاطبًا لإنسانة يحبها ومتعلق بها، ولكن

حدثت بعض المشاكل التي تحدث أحيانًا في حالات الخطوبة، وتطور الأمر وفشلت خطوبته، فصممت أمه على زواجه من بنت أختها نظرًا لأنها تعرفها جيدًا وتحبها كما تحب أمها، أو هي التي أشرفت على تربيتها، وتم الزواج من الفتاة التي يشعر هو أنها أخته، فقلت له:

- حاول تحب صفاتها الجميلة، ولما ربنا يكرمكم بأولاد ستحبها وتحب أسرتك

قال بأنه لا يريد أن يستمر معها وانتهى الحديث، ولكنني تذكرته عندما طلب مني أحد الأصدقاء الحديث عن الزواج القهري، ولأول مرة أعرف أن الشاب في الصعيد يتعرض لضغط في الزواج، كنت أظن أن ذلك يحدث لبعض الفتيات فقط عندنا، عندما يصمم بعض الأهل على زواج بناتهم من نفس القبيلة.

وترددت في الكتابة عن هذا الموضوع لقناعتي الشخصية بأن الزواج والطلاق والميلاد والموت هي أمور قدرية، لا يستطيع

أحد التدخل فيها، وإن تدخل فلن يغير شيئًا مما كتبه الله، ولأني مقتنعة أن الله خلق الأرواح كلها إلى يوم الدين مع خلق سيدنا آدم، وأنه من المستحيل أن يكون طفل يولد من أب وأم إلا إذا أراد الله لهم الزواج وإنجاب هذا الطفل، حتى الابن غير الشرعي أنا مقتنعة أن الله قدر له أبوه وأمه من الأزل.

ولكني وددت أن أقول كلمة للآباء من منطلق الأمانة ومن منطلق النصيحة، لماذا يصممون على تقييد أولادهم؟ والاختيار لهم في شيء هو من أشد الخصوصية في حياة الإنسان؟ لماذا يتحججون بالنصيب وهم يختارون لأولادهم، ولا يتحججون بالنصيب نفسه عندما يختار الابن أو البنت شريكة حياته أو شريك حياتها، لماذا لا يتركونهم يختارون؟ فإن تم الزواج فهو النصيب، وإن لم يتم فهو أيضًا النصيب، وفي حالة إذا ما فشل الزواج سيكون الابن أو البنت راضيًا عن اختياره، ولا يشعر بالأسى، ولا يبحث عن شماعة يعلق عليها خطأ الاختيار.

لماذا لا يقتصر دور الأهل على النصيحة فقط؟! لماذا يتطور الأمر إلى الخصام والمقاطعة؟ وعدم المشاركة في الفرح وترك الابن في أجمل أيام حياته وحيدًا؟ وقد يتطور الأمر إلى الحرمان من الميراث، وفعل ذنب كبير يحاسبهم الله عليه، وهو منع الابن من الحصول على حق فرضه الله من فوق سبع سماوات وحدد أنصبته، وقد يكون عدم الرضا في صورة فرض عقوبات بعدم المساعدة في مصاريف الزواج، لماذا كل ذلك؟! لماذا لا يكون دور الأهل منحصرًا في التنبيه على أن هذا الشخص سيئ مثلًا، أو غير محترم، أو غير مناسب من الناحية الاجتماعية، أو ليس به شرط الكفاءة وفقط، ويتركون الاختيار للولد أو البنت؟

أما من الناحية الدينية فإننا نجد أن بعض الفقهاء قد أباحوا للولي فسخ عقد الزواج في حالة عدم وجود الكفاءة، وذلك كي يتم الاختيار على أساس تستقيم معه الحياة الزوجية، ولكن هل الكفاءة في حد ذاتها كافية

لإنجاح الزواج؟ ونحن لدينا المعايير التي يتم الاختيار بناء عليها، فقد قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن الإرشاد في اختيار الزوجة، وكذلك أيضًا في اختيار الزوج: «تنكح المرأة لأربع؛ لمالها ولجمالها ولحسبها ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك». صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم. ولكن موضوعي هذا ليس عن كيفية الاختيار ومعاييره، ولكني أتحدث عن فرض الزواج من جانب الأهل على الشاب أو الفتاة وتحويل حياتهم لمأساة.

وإن كان بعض من هذه الزيجات بمرور الوقت ينجح، ولكن البعض منها يخلق تعاسة كبيرة في حياة الشخص، ويظل طوال عمره يسند سبب فشل زواجه إلى أهله، فكما قلت هو النصيب، فاتركوهم يختاروا أو ساعدوهم في الاختيار، ولكن دون ضغوط ودون فروض، فالموضوع أولًا وآخرًا لا يكون شيئًا إلا إذا أراد الله حدوث هذا الشيء، فما كان لك لن تبعده عنك أية قوة، وما ليس لك فلن

تأخذه أبدًا؛ لأن الله هو الذي قدر القدر في الأزل، والنصيب لن يتغير، فهو بالضغط على الشاب سيحدث، وبعدم الضغط عليه سيحدث، لذا دعوهم يختاروا؛ لكي يشعروا بالسعادة، فعند وجود ذلك الشعور بقلب الإنسان وهو أنه اختار بنفسه شريك حياته سيشعر بالاطمئنان، والسكينة، والرضا النابع من القناعة بالقدر خيره وشره، ولكن في حالة اختيار الأهل، سيحاول دومًا إيجاد شماعة ليعلق عليها فشل حياته، حتى ربما لا يسعى للوصول إلى حلول وتحسين الحياة، ظنًّا منه أنه لا يريد تلك الحياة.

السر



كانت في الخامسة والأربعين من عمرها، ومع ذلك كانت شابة جميلة، وكانت أرملة لديها أربعة أبناء، وكان شابًّا وسيمًا في الخامسة والعشرين عندما بدأ العمل معها في نفس المؤسسة، أتيا من صعيد مصر، أحبته وأحبها، ولأنه لا يريد الحرام تزوجها، عاشا كل منهما في مكان، وظل الزواج سرًّا، وظل كل منهما يحب الآخر ويخلص له، ولكن الأهل في الصعيد لا يسكتون، يريدون أن يروا لابنهم حفيدًا، يريدونه أن يتزوج، وظل يختلق الأعذار، وظل يهرب من الحديث، ويهرب من السفر إلى الصعيد؛ حيث محاصرة الأهل

والأصدقاء والجيران بالأسئلة، والتي في ظاهرها اطمئنان وما في باطنها يعلمه الله.

ولكن أمام إلحاح الأم والأب خاصة أنه قد بلغ الخامسة والأربعين، ومن ضرورة زواج الابن الكبير قبل أخيه الأصغر، رضخ لمطالبهم، واختاروا له العروس، فتاة جميلة جامعية من أسرة محترمة، وتم الزواج، وسافرت العروس للحياة في القاهرة، بطريقة الأنثى شعرت أن هناك شريكًا، شعرت أنها ليست بمفردها في حياته، كان يتلقى اتصالًا هاتفيًا يوميًا لمدة ساعتين أو أكثر، لم ترد الزوجة الأولى أن تتركه يتحدث مع زوجته ولا أن يقترب منها فكرًا، لم ترد أن تفقده كحبيب، بالطبع كانت تعاني، وبالطبع شعرت بالحزن، ومن حق الزوجة الجديدة أيضًا أن تنعم بحياة جميلة بلا قلق.

بدأت الزوجة الشابة تتابع كل تحرك، وتتابع كل تصرف، وتحلل كل سلوك، أصبحت حياتها صعبة، تريد أن تصل إلى الحقيقة، والتي تتمنى من داخلها أن تكون وهمًا، عندما اتصلت بي وحكت لي الموقف حاولت طمأنتها بأن كل ذلك وهم، وأن الإنسانة الأخرى لا وجود لها، ربما يكون وجود تلك المرأة سببه إعجاب بشاب صعيدي على خلق وشهم ويقدم مساعدات بلا مقابل، ولكني في قرارة نفسي كنت أشعر أنه يحب زوجته الأولى وأنه لم يتخل عنها، وأن علاقته بها قوية؛ لأنها دامت خمسة عشر عامًا، ولا زالت مستمرة.

كنت أشفق على الزوجتين؛ على صديقتي التي بدأت حياتها مع زوج متزوج بأخرى، ولم يخبرها وفي ذلك غش، وكنت أشفق على الزوجة الأولى التي تحب زوجها وتعودت

عليه ولا تريد أن تفقده، وكنت أكن له الاحترام رغم كل ذلك؛ لأنه ما تخلى عن زوجته التي أحبها وتزوجها سرًّا، وقلت لصديقتي:

- لو نفرض أنه فعلًا كان تزوج أو ما زال متزوجًا لكنه لم يفعل الحرام، وأن زوجته الأولى مهما كان بينهما فهي ماضٍ وإلى زوال وأنت لك المستقبل فحاولي أن تزرعي في مستقبلك شيئًا جميلًا..

كانت لا تتقبل أبدًا فكرة أنه سبق له الزواج وما زال متزوجًا، كثيرات منا ترفض ذلك، ولكن لا أدري هل لو أنا في نفس الموقف كنت سأتقبل ذلك أم لا، فلكي نحكم على موقف ما حكمًا صائبًا لا بد أن نكون عانينا وشعرنا بمثله.

السعادة



هي كلمة بسيطة الحروف، صعبة المنال، جميلة المعنى، قد تنبع السعادة من داخلنا عندما نرضى عن كل شيء حولنا، عندما نشعر أن الله قد قسم لنا الخير، وأن ما نراه مهما كان أثره علينا هو في حقيقته خير ولكننا لا ندرك أن هذا هو الخير.

وقد تأتي السعادة من خارجنا، فعندما يتذكرك صديق طالت بينك وبينه الفرقة ليسأل عنك، وعندما تحلم بالنجاح في شيء معين ويتحقق لك، وعندما ترى ابتسامة من شخص ويقول لك بأنه افتقدك رغم أنك بالكاد تتذكره في حياتك، عندما يتصل بك شخص من بعيد مكالمة دولية ولا يهدف من ورائها إلا الاطمئنان عليك، أو مكالمة محلية أيضًا من شخص لم تتوقع اتصاله، وعندما ترى منظرًا طبيعيًّا جميلًا، وعندما تسمع ضحكة طفل.

عندما يكون لديك القدرة على شراء شيء تمنيت أن تقتنيه، عندما تنهض من فراش المرض وتحس أنك استرددت عافيتك، عندما تحب شخصًا يبادلك نفس الشعور، السعادة لها أسباب كثيرة، ولكن النفس الصافية الراضية الخالية من عيب الجحود هي التي تشعر بها، وهناك بعض الأشخاص يملكون أشياء كثيرة ولكن لا يشعرون بالسعادة، فليست السعاده هي أن تمتلك شيئًا، لكن السعادة أن يتملكك شعور بالرضا عن كل شيء في حياتك مهما كانت هذه الحياة، وتلك هي النفس المطمئنة الهادئة المؤمنة المدركة بأن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، وما أصابك لم يكن ليخطئك.

الصح والخطأُ



في حديث ودي بيننا، وددت أن نتذكر بعض الأشياء التي تحدث في حياتنا بصفة مستمرة ولا نلقي لها بالًا، وتمضي كأنها شيئًا عاديًّا، وبعض الناس يخلطون بين الأمور ولا يعرفون التمييز بين ما هو صح وما هو خطأ، وذلك يحدث دومًا، وفي أمور كثيرة، وإن كنت أريد أن أقول لا يفرقون بين الحلال والحرام في أشياء كثيرة، بل يعتقدون أنه لا حساب عليها أو يظنون أنها تافهة.

وأذكر على سبيل المثال بعض المواقف التي مررت بها، منها: عندما ذهبنا للمطار للذهاب إلى المملكة العربية السعودية لأداء فريضة الحج تأخرت الطائرة التي ستقلنا، وقالوا إن التأخير سيستغرق أكثر من ١٢ ساعة، ومن يريد الذهاب إلى بيته يذهب، وقام الطيران السعودي بالحجز للذين لا يريدون الذهاب إلى منازلهم في فندق خمس نجوم، كيلا يتعرض

للمساءلة القانونية في حالة بقاء الركاب في المطار.

وذهبنا للفندق واعتكفت بغرفتي ونزلت في المساء لأرى باقي المجموعة، فوجدت النساء يجلسن في بهو الفندق ويتحدثن عن الآخرين وكأنهم في رحلة، والأدهى أن واحدة أخذت تسب الطيران وتقول بأنها «بالعند فيهم» كانت تملأ الأطباق بالطعام وتأخذ من اليسير وتتركه وتملأ غيره، وذلك لكي تجعل الفندق يخسر مقابل أنهم أخرونا، رغم أن التأخير كان من الطيران السعودي لضغط الرحلات عليهم. وتعجبت كيف لشخص ذاهب لأداء فريضة الحج ليرضي ربه ونسي قوله: «إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورًا».

وأذكر أيضًا صديقة استأجرت سكنًا لهم، وكان الإيجار يشمل الكهرباء والماء، فوجدتها اشترت سخانًا كهربائيًّا ضخمًا لتطهو عليه، ولم تشترِ «بوتاجاز» رغم أن القيمة المالية لاستهلاك الكهرباء عشرة

أضعاف استهلاك الغاز، وذلك لأن المالك هو الذي سيدفع قيمه استهلاك الكهرباء، وهذه الصديقة تصلي وتصوم وتتقي الله في أمور كثيرة ولكن غاب عنها الحديث الشريف: «لا ضرر ولا ضرار». صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وذلك أيضًا تجده في المصالح الحكومية، فقد تتلف صنابير المياه ويتركونها بلا إصلاح؛ لأنهم لا يدفعون ثمن الماء، وكذلك تترك الإضاءة في أماكن كثيرة نهارًا ولا يفكر أحد في إطفائها؛ لأنهم لا يدفعون ثمنها، كنت أرى ذلك كثيرًا في المدينة الجامعية.

وكثيرون جدًّا وكثيرات جدًّا يتحدثون عن الآخرين ولا يعتقدون أن الغيبة قد تقذف بهم في النار، وكثيرون جدًّا يتركون عملهم ويذهبون لقضاء حوائجهم، وأحيانًا يخرجون من العمل فقط لأنهم يريدون الخروج، ولا يظنون أيضًا أن ذلك حرام، وكثيرون وكثيرات يعتقدون أن الفهلوة في كسب المال والغش

في البيع شطارة، وأن الحصول على مكسب مادي بسرعة هو التفوق في الحياة.

أشياء كثيره جدًّا تحدث منا ودون وعي نظن أننا «صح»، وأننا لا نرتكب أخطاء، بل قد ننصح الآخرين ونفعل نحن نفس الخطأ، أنا لا أقول ذلك لأنني بعيدة عن الأخطاء، أنا أردت فقط أن أذكر نفسي وأذكركم أن هناك أشياء كثيرة سوف نحاسب عليها ولا نتعامل معها بنفس القدر من الأهمية إذا كان الذي سيحاسبنا عليها رئيس في العمل أو سيتم خصم ثمنها من أموالنا، تحضرني مواقف مشابهة كثيرة جدًّا، ولكني لا أريد الإطالة، فقط أردت التذكير.

المراهقة الثانية



عندما التقت به لأول مرة كانت قد سمعت عنه ورسمت في خيالها صورة له، ولا تدري لماذا أحبت فيه شيئًا لا تعرف ما هو قبل أن تراه، وعندما رأته وجدت أنه أجمل بكثير مما ظنت، كان أسمر اللون، واسع العينين، لا تدري ماذا شدها إليه، وكانت متزوجة، وكان زواجها عن حب، ولكن الزوج بمرور الوقت أصبحت له هفواته ونزواته، وعلمت وسكتت حتى صارحها يومًا بأنه قد خانها مرتين، عندما سمعت الجملة لم ترد ولم تعلق عليها، ونسيتها تمامًا.

ولكن حدث أنها أصابها ضغط عالٍ، وضغط في عينيها، وكلما ترى زوجها تريد البكاء، وتجد في عينيها دموعًا كلما نظرت إليه ولا تدري ما سبب تلك الدموع، وتحولت علاقتها الخاصة به إلى روتين بلا مشاعر، ولا تشعر بأي شيء، كل شيء في حياتها تغير وتبدل،

تركته وسافرت عند أهلها، وقالت ربما البعد يصلح الأمور، ولكن لم ينصلح شيء، وعادت إليه وبداخلها مثل حطام زجاج وشيء في داخلها حزين، وكل يوم تسأل نفسها ألف مرة ما الذي تغير بداخلي تجاه من أحببت، ولا تدري جوابًا وذات يوم تذكرت وسألته:

- أنت قلت لي إنك خنتني مرتين..

واتضح لها أن عقلها رفض أن يصدق أن حبيبها وزوجها خائن، وهي التي تزوجت به عن قصه حب كبيرة، وكان لا يستطيع البعد عنها أبدًا، فقد كان يعشقها، فكيف استطاع أن يخون وهو محب، وعندما تحدثت معه أنكر، ولم تصدق ذلك الإنكار، وظنت أنها بمرور الوقت قد نسيت، ولكن كرامتها التي لم تتحدث عنها لم تنس، وقلبها الذي جرح لم ينس، وعندما سمعت عن ذلك الشخص الثاني أحبته، أو ربما توهمت ذلك الحب ردًّا على جرح كرامتها، وإن كانت دومًا تسأل نفسها لماذا أحبته.

نسجت من خيالها صورة وردية له، ظنت أنه ليس مثل الرجال الآخرين أو تمنت ذلك، فهي لم تكن تعرفه، كانت تبحث عنه دومًا، وتتصل به دومًا، وكان لا يعيرها اهتمامًا في البداية، ولكن بمرور الوقت شغلته، قالت له بأنها تحبه، أرسلت له خطابًا بذلك، ولكنها لم تتحدث معه أبدًا وجهًا لوجه، ولم تعبر له أبدًا بالحديث المباشر، ولم يجمعها به أبدًا لقاءٌ منفرد.

كانت تحكي عنه لصديقتيها، وكانت كلما تحدثت عنه بكت، وكانت تعلم أن بينها وبينه حاجزًا حديديًّا، وأنه كان في كل الأحوال حاجز بينها وبين زوجها، أصبحت لا تستطيع الكلام مع زوجها، أصبحت يوميًّا تخرج وتمشي طريقًا طويلًا جدًّا أملًا في أن ترى حبيبها من بعيد، ويبدو أن الحب كالعطر كما يقولون، فقد شعر بها الحبيب الجديد، وعلم أنه لن يكون بينه وبينها شيء إلا عن طريق المأذون، وسأل عن أهلها وأسرتها.

وشعر زوجها بكل شيء، فقد فقدت كثيرًا من وزنها، وأصبحت تتحرك في المنزل كخيال، وقال لها:

- أظن أنك يومًا ستتلاشين..

كانت تعيش مثل روح هائمة تتحرك فقط في البيت دون وجود، حتى أن صحتها تدهورت وأصبحت تسقط مغشيًّا عليها، فلم تتحمل فكرة أن تكون خائنة، وطلبت الطلاق وأصرت عليه، ورفض زوجها، ربما لأنه يحبها، وربما لأنه يعلم أنه لو طلقها فسوف تتزوج من حبيبها، وعندما أصرت على الطلاق وجدته يبكي كما الأطفال ويقول لها:

- أين حبنا؟ أين أنا منك؟ خلاص ما بقيتيش بتحبيني؟

وعندما شعرت أنه أقرب للموت منه للحياة، وأنه يحبها فعلًا، شعرت هي أيضًا أنها ما زالت تحبه، وأن الذي عاشته هو تخيل لحب هي تريده ليملأ مكان الحب القديم، وشعرت أنه لو حدث مكروه لزوجها ستكون هي

السبب، وتراجعت في كل خطواتها وتوقفت عن الرسائل وعن الاتصال الذي لم يكن له أساس سوى سؤال عن الأخبار والأحوال، وعادت حياة الزوجين كما كانت، وشعر كل منهما بالسعادة كما كانا، ولكن بقي شيء بداخل كل منهما لا يجعل الحياة صافية مطمئنة كما كانت، حتى بعد أن عادا طبيعيين، فما زالت بداخلها تذكر قوله «خنتك مرتين». وما زال يشعر أنها نظرت لشخص آخر وتمنت أن تتزوجه، ربما يكون ما حدث هو ما يقال عنه مراهقة ثانية.. لست أدري.

جرح القلوب



أحيانًا تمر بأي منا ظروف وأحداث تكسر القلب فعلًا، وتجعلنا نعيش في الحياة وكأنها بلا أي طعم، وكأنها بلا أي قيمة، ونفقد القدرة على المرح والقدرة على الأكل والشرب، ونفقد القدرة على مشاركة الآخرين، ونضطر إلى أن نضع قناعًا على وجوهنا يخفي حقيقة ما بداخلنا ونظهر أننا نعيش بصورة طبيعية، ونزعم لمن ينفذ إلى داخل القناع ويسألنا عن أحوالنا أننا مشغولون بالحياة، ونحن أبعد ما نكون عن الحياة، يمر اليوم بنا كأسبوع، والأسبوع كشهر، والشهر كدهر، ونذهب إلى أشغالنا بغير طاقة، وعندما يسألوننا في شيء خاص بالعمل لا نتذكر الأرقام، ولا التواريخ ولا الأسماء.

لا نريد سماع الأغاني المؤلمة لأنها تذكرنا بالجروح، ولا نريد سماع الأغاني المتفائلة

لأنها لا تناسب حالنا، ونهرب من أصدقائنا الذين لا نريد أن نحكي لهم عن مأساتنا ونتعب الذين يستمعون إلينا ونجد راحتنا في الحديث معهم.

إن جرح القلوب من أصعب الجروح وأقساها؛ لأننا دائمًا نربطه بالغدر، ونربطه بالخيانة، لكن لو فكرنا قليلًا لعرفنا أنه ليس هناك غدر ولا خيانة، هي مشاعر تغيرت وخسر من خسر وكسب من كسب، المهم أن الطرف الذي تغير وتحولت مشاعره يكون غير قاصد الجرح، وغير منافق، وغير أناني، وغير كاذب، وغير مستغل، وغير متهاون في مشاعر الآخرين، يكون سبب تغير مشاعره حدث رغمًا عنه، ما يكون ذهب بنفسه لطريق كان السبب في جرح الطرف المجروح، ولكن لو فكرنا قليلًا لوجدنا أن جرح القلوب قد يكون أهون من مرض عضال، أو مصيبة كبرى، أو فقدان وظيفة أو فقدان عمل.

أجد أنه أصعب مثلًا لو حدث أي شيء طارئ كأن يفقد شخص مسكنه أو يتهدم بيته

ويصبح في العراء، أجد أنه ربما يكون فَقْدُ سعادة مع إنسان نحبه أهون من فقد عضو من أعضاء جسمنا، أحيانًا يكون الواقع مريرًا ولكن لو تأملنا غيرنا وأحوال غيرنا ربما كنا أسعد منهم حالًا.

عمومًا، ما أردت قوله هو أنه رغم الحزن يبقى بداخلنا شيء يجعلنا نعيش، ويبقى بداخلنا أمل أن الله قادر على أن يغير واقعنا إلى الأفضل، وأنه لو علمنا الغيب لاخترنا الواقع، وأن ما يريده الله كله لنا خير، سواء رضينا به أو لم نرض، مصداقًا لقوله سبحانه وتعالى: «عسى أن تكرهوا شيئًا وهو خير لكم» صدق الله العظيم.

المشكلة عندنا في الدول العربية هي عدم النضوج العاطفي، بمعنى أننا لا نفرق بين الحب والإعجاب ولا النزوة، كثيرون يهدمون بيوتهم بتوهم أن حبًّا جديدًا دخل حياتهم، ويجرون وراء إنسان آخر أو إنسانة أخرى، وبعد أن يخربوا بيوتهم لا يعيش الثلاثة سعداء، وعندما يحاولون الرجوع تكون كل

الأشرعة قد احترقت وكل المراكب تحطمت، ولو تم الرجوع تكون تعاسة.

نحن نحتاج أن نفهم أنفسنا، ونحتاج ألا نضغط على أحد ليتمسك بنا بدافع الإخلاص؛ لأن الإخلاص لا يشترى والحب لا يشترى، والمشاعر ليس لها قيود، ولكن القيود على السلوكيات، والقيود بأن نحترم الطرف الآخر فلا نخدعه ولا نهينه، ولا نعيش مع أحد لأن المجتمع يريد ذلك، وأخيرًا أنا لا أدعو لخراب البيوت طبعًا، ولكن أدعو للصدق مع النفس أولًا، ثم الصدق مع الآخرين.

خاطرة



أقف على أعتاب المغارة الحزينة
أنظر إلى الهوة السحيقة
وأعود فأنظر إليه
يحمل سهمًا مصوبًا نحوي
يريد أن ينسل نحو نفس الجرح
وأجد في عينيه إصرارًا
فأخر قتيلة قبل أن يصلني
خوفًا - لأنني تذكرت الجرح الذي مضى

سن الرشد



يومًا ما كنا نجلس ننتظر بدء الجلسات، وكان لنا زميل يتحدث عن أولاده المتزوجين، وأنهم يسهرون في منزل والدهم حتى الفجر، ثم يذهب كل منهم مع زوجته وأولاده إلى شقته؛ حيث إنهم يقيمون جميعهم في نفس العمارة التي بناها الأب وجعل لكل منهم شقته، وعندما سأله زميل آخر وماذا عن العمل؟ أجاب بأنهم لا يعملون، وأنه يعطي كل واحد منهم راتبًا شهريًّا يكفيه هو وزوجته وأولاده، وأضاف ضاحكًا أنهم يستصغرون الراتب حاليًّا ويطالبون بزيادة لغلاء المعيشة، وأنه يستغرب منهم أنهم لا يشعرون بالمسئولية.

ووجدت نفسي أريد الكلام عن هذا الوضع غير المرضي، ولكن كالمعتاد لا أتدخل في شئون أحد، فهو أدرى بظروفه وظروف أولاده، وودت أن أقول له بأنه هو السبب في جعلهم لا يتحملون المسئولية، وما هي

السعادة في غربته هو وحيدًا لجمع المال ليستمر في الإنفاق على من زوجهم وأنجبوا؟ وتذكرت ما قيل في الأثر: «لاعبه سبعًا وأدبه سبعًا ثم اترك له الحبل على الغارب»؟؟. وهذا السن (الواحد والعشرين) هو السن االقانوني لاكتمال الأهلية عند الإنسان، وعندما يصل إليه الشخص، وأقصد بذلك الفتى أو الفتاة، فإنه يكون مسئولًا عن نفسه مسئولية كاملة تجاه ربه وتجاه البشر من حوله، ولكن الذي يحدث في الواقع العملي مختلف تمامًا.

فأولًا لا يقوم الأب أو من يقوم على تربية الأبناء في حالة عدم وجود الأب لسفر أو للوفاة بما أوصى به الرسول الكريم في الحديث الشريف، فللأسف نطبق الحديث على المرحلتين الأولى والثانية أي حتي سن الرابعة عشر وكأنه طفل، أي مرحلة «لاعبه»، ولا نقوم بدور التأديب كما ينبغي، وأقصد بالتأديب غرس القيم النبيلة والأخلاق الحسنة، كما قال الرسول - صلى الله عليه وسلم: «إنما جئت لأتمم مكارم الأخلاق».

ونجد كل اهتمام الأهل ذاكر دروسك فقط، ثم لا نصل مع الابن لمرحلة المؤاخاة، لا أعرف لماذا، فلا تجد أبًا أو أمًا صديقًا مع ابنه أو ابنته لنظرتهم الدائمة بأنهم لا زالوا أطفالًا.

وبناء على هذه النظرة حدث خلل في المجتمع بأثره، وأنشأنا جيلًا لا يتحمل المسئولية، وغير واضح أو محدد الهدف، بل أغلبه منساق لآراء الآخرين، ليس لديه القدرة على تكوين خطة لحياته المستقبلية، والاهتمامات أغلبها انحصرت في الجلوس خلف شاشات الكمبيوتر ليس للعلم والقراءة والاطلاع، وإنما للشات مع الآخرين، وأصبح الوقت الذي هو المكون الأساسي لعمر الإنسان يضيع أغلبه بلا فائدة، وأصبحت طاقة الشخص مهدرة دون الحصول على معلومة حقيقية، هذا من جهة.

ومن جهة أخرى لا أعرف لماذا تظل وصاية الآباء على الأبناء حتى بعد بلوغ سن الرشد، لا يتهمني البعض بأني أريد للشباب الانفلات وتركهم يعملون ما يشاءون، أنا لا أريد

الانفلات، ولكن أريد تركهم يعملون ما يشاءون فعلًا، ولكن مشكلة الآباء صنعوها بأنفسهم بعدم تطبيق نص الحديث الشريف كما هو وكما يجب، فنجد للأسف في كل المجتمعات تظل الوصاية قائمة، بل وتمتد حتى سن الخامسة والعشرين والثلاثين والأربعين، وتمتد أيضًا لما بعد الزواج، والتدخل في حياة الأسرة الجديدة، وغالبًا ما يقتنع الآباء أنفسهم بأنهم الأقدر على التفكير لصالح أبنائهم، وأنهم يريدون مصلحتهم، ومن باب «مصلحتهم» هذه يخططون لمصير الأبناء، ويلغون إرادتهم، وشيئًا فشيئًا تلغى تمامًا شخصية الأولاد.

وهناك بعض الأهل يجدون العقاب على كل خطأ بالضرب أو الإهانة، فنجد شبابًا آخرين يفعلون كل خطأ، ولكن لا يجعلون أهلهم يعلمون، وينشأ بذلك إنسان كذاب، كل موقف له فيه كذبة، لو نظرنا للتربية أيام الرسول - صلى الله عليه وسلم - لعلمنا لماذا جعل الرسول أسامة بن زيد قائدًا وهو في سن

السادسة عشرة من عمره (قائدًا لجيش المسلمين المتوجه لغزو الروم في الشام)، هل تعلمون ما هو قائد؟ أي هو الذي يصدر الأوامر، وينبغي على من يقودهم الطاعة، وذلك في حرب، أي في أصعب شيء يكون فيه إصدار الأوامر؛ لأنه يتوقف عليه نصر أو هزيمة أمة بأكملها، ولكن الرسول - صلى الله عليه وسلم - وثق به؛ لأنه تربى على المبادئ الحقيقية للدين.

إن تربية الأبناء مسئولية حقيقية كبيرة وصعبة، وهذه التربية هي التي تصنع أممًا أو تهزم أخرى، بل الغريب جدًّا في سلوك بعض الأهل أنهم يأمرون أبناءهم بفعل ما لا يفعلونه هم، وبترك ما لا يتركونه هم، يأمرون بالصلاة ولا يصلون، يأمرون بالصدق وهم يكذبون، يأمرون بعدم الغيبة ويتحدثون عن الآخرين أمام أبنائهم، يتحدثون عن صلة الرحم ويقاطعون أقرب الناس إليهم،
ثم تجد الناس يجلسون ويقولون «فين أيام زمان لما كان فيه أخلاق ولما كان وكان».

ويقولون «الزمن اتغير وأصبح الشباب لا يتحمل المسئولية وأصبح كذا وكذا».

وينسون تمامًا أنهم هم السبب، هم الذين لم يقوموا بدورهم في التربية الصحيحة ولا في المسئولية، وتذكروا جيدًا «آخيه سبع»؛ لأن السن من الرابعة عشرة وحتى الواحدة والعشرين هي التي تشكل بنيان الإنسان المستقبلي واهتماماته وميوله وطموحه.

صمت النساء



احذروا صمت النساء، عندما تصمت زوجتك وتتحاشى النظر إلى عينيك فاهتم لهذا الأمر، لا تظن أن ذلك عاديًّا، لي صديقة كنا سويًّا بالمدينة الجامعية، مرحة، جميلة، بنت ناس، وذات أخلاق، وتزوجت من شخص مرموق، وأنجبت وكانت سعيدة، وبعد إنجابها لطفلها الثالث طلب منها الزوج تقديم استقالتها لرعاية الأولاد، وللأسف وافقت لترضيه، وبعد مرور سبع سنوات، ويومًا ما جاءتها الممرضة التي تعمل مع زوجها والتي عرض عليها الزواج وقالت لها بأنها تحبها وأنها رأت منها كل خير، وأنها رفضت أن تتزوج زوجها لحبها لها هي.

وعلمت صديقتي بما كان سيقدم عليه زوجها، ولم تذكر له شيئًا مما علمت، وحاولت أن تبحث عن سبب الخلل في حياتها وتصلحه،

واهتمت بنفسها وبأولادها، واهتمت بالزوج، ومر الوقت ونسيت تلك الحادثة.

وبعد مرور ثلاث سنوات أخرى التقيت بها، وحدثتني أن حياتها غير سعيدة، وأنها لولا الأولاد وعدم وجود دخل أو مصدر رزق وسكن لتركت له المنزل، ولكن أين تذهب، واستمرت الحياة، وكنا نلتقي لقاءً ليس طويلًا في فترة الإجازات ولا أسألها عن حالها، وإن كان مظهر أسرتها من الخارج يدل على أنها أسرة سعيدة.

ومنذ خمس سنوات وقع الموبايل الخاص بزوجها تحت يدها، وللأسف وكما قالت، وجدت رسائل بينه وبين زميلة له بالعمل كلها كلام «مش محترم»، وألفاظ غرام، وأيضًا لم تقل له شيئًا، ولكنها ابتعدت وأصبحت كما قالت لي لا تشعر تجاهه بأي شيء، وأنها تنتظر أن ينتهي ابنها من دراسته وأن يعمل؛ حيث كان يدرس بكلية الشرطة، وحينئذ ستعيش مع ابنها وتترك له المنزل؛ لأنها حسبما قالت لا تريد أن تنظر في وجهه، ومع

ذلك كان من يراهم لا يظن بما يخفي القدر من الداخل، الحياة هادئة مستقرة، والمظهر الخارجي أسرة ناجحة بكل المقاييس.

وذكرني بذلك الموضوع موضوع آخر حديثًا لزوجة شابة تزوجت فقط من أربع سنوات ولديها طفلان، واكتشفت أيضًا عن طريق تحرياتها التي لم تفصح عنها أن زوجها كان متزوجًا قبلها من أخرى، ولا أحد يعرف ذلك، وعلمت ولم تخبره، ولم تصنع مشكلة، ومنذ عام سألتني ماذا تفعل، حاولت أن أخبرها أن ذلك ربما يكون غير حقيقي وأنه ربما يكون فقط من نتاج تفكيرها، ولكنها حكت لي من الأدلة ما جعلني أصدق قولها، بل أن زوجها شعر أنها علمت، وحاول أن يسترد ثقتها وحبها.

منذ شهر تقريبًا قالت لي نفس الكلام الذي قالته صديقتي الأولى، قالت «أنا لا أشعر معه بأي شيء، وحتى لا أغار عليه، ولا يهمني ماذا يفعل لأنه غشني وخدعني». قالت بالحرف: «أشعر أن قلبي أصبح حجرًا».

وحاولت إقناعها بأن ذلك ماضٍ ليس من حقها أن تتدخل فيه، وأنها يجب أن تنظر لمستقبلها، وأن تأخذ من الحياة السعادة؛ لأن العمر الذي يذهب لا يعود، فلا نضيع أيام العمر في ضيق ونكد، وحاولت كثيرًا وأظن أنني نجحت والحمد لله.

ما أريد قوله هنا هو أنه عندما تعاتبك زوجتك أو حتى تصنع مشكلة معك احتوِ الموقف، واحمد الله أنها تحدثت معك؛ لأن ذلك أفضل من الصمت الذي يخفي تحته بركان يقتل المشاعر ويحجر القلوب، وفعلًا احذر صمت المرأة، فغالبًا هو إنذار بخروجها من حياتك، حتى لو لم يكن فعليًّا بسبب الظروف، سيكون معنويًّا.

علمتني درسًا



كنت أطالع الصحيفة ووجدت رقم هاتف عن مكان للإيجار بنفس العاصمة يبعد ليس كثيرًا عن سكني، فمن باب الاستفسار ليس إلا، اتصلت، ووجدت أنه يزيد عن سكني بفارق ٥٠ ريالًا، فقلت لن أستأجره ولكن طلبت رؤية المكان، وذهبت وأخبرت أصحاب السكن أنني أستطيع دفع 20 ريالًا فقط عن سكني، وأنني بالفعل في سكن مريح، على أمل أن يرفضوا، فأحيانًا أنا عندما أكون مترددة في الاختيار أتمنى عندما يتم رفض الشيء ألا يكون بسببي، وبالفعل رفضوا.

وبعد يومين اتصلت لأعرف إذا ما كان السكن خاليًا، وبعد الموافقة على المبلغ الذي عرضته، قررت الذهاب، وعندما كنت آخذ آخر أشيائي جاءتني جارتي ذات العشرين عامًا والتي تسكن مع أمها وإخوتها بنفس المنزل وقالت لي شيئًا جعلني أفكر فيه كثيرًا،

فقد كنت ألاحظ أنها منذ أن عرفت أني سأترك السكن - غير سعيدة. ثم جلست وقالت لي وهي تبكي:

- you are my Sacond mother kawaeb أنتِ أمي الثانية يا كواعب..

وهذه العبارة كلما تذكرتها نزلت دموعي، قالتها لي الفتاة الكاثوليكية الديانة والإنجليزية الجنسية، بالرغم من أني لا أعطيها من وقتي ولا أعطيها من مالي ولا أهديها كما يهدي البعض للبعض.

هذه الألفاظ أيقظت بداخلي أنه لا بد أن أتغير، نعم أنا أحبها، ولكن ربما ليس بنفس القدر، استحييت من سلوكياتي التي تحكمها مشاعر ليست ناضجة، فدائمًا نقدم خدماتنا حسب الانتماء للمكان، وأذكر ذلك عندما أتحدث عن البشر مع البشر الآخرين في المطلق، وليس عن الأقارب أو صلات الدم، فالوضع مختلف، ولكنني أتحدث عن تصرفاتنا كبشر، فمثلًا ونحن في القاهرة نقدم خدماتنا بالأولوية

لأبناء محافظتنا، ولأهل الصعيد عامة، ثم ونحن في بلد عربي نفضل أن نقدم خدماتنا لأبناء بلدنا المصريين قبل غيرهم من العرب، ونساعد العرب قبل أن نساعد الأجانب، بل أحيانًا نفعل شيئًا خطأ ظنًّا منا أنه هو الأصوب، ومثال ذلك قد يكون أمامي بصفتي مسئول تعيين أحد المديرين وأمامي شخص من بلدي وشخص من بلد آخر فأختار ابن بلدي، أو قد يكون شخص مسلم وشخص غير مسلم وقد يكون على سبيل المثال غير المسلم لديه كفاءة أكبر وأنا أختار المسلم وأنا واثق أني بهذا أرضيت ربي، ونسيت قوله: «يا عبادي، إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرمًا فلا تظالموا». وأنني قد أفعل ما حرم ربي ظنًّا مني أنني أرضيه.

نحن فعلًا نتبع الهوى في كل شيء، علمتني هذه الفتاة أن الحب فعلًا لا يشترى، وأنها أحبتني بلا مقابل وبلا سبب، وعلمتني ألا أميز في تعاملي مع الآخرين، وأن أتعامل معهم من منطلق الإنسانية البحت، كما قال

الشاعر القنائي عبد الرحيم منصور: «لا يهمني أصلك، ولا يهمني العنوان، يهمني الإنسان».. أغنية حدوتة مصرية، وأذكر موقفًا من عشرين سنة قابلت زميلة لي كانت واختها التؤام معنا في الفصل الدراسي من الإعدادية وحتى الثانوية العامة، فسألتها عن أختها، فقالت لي: «خلاص اترسمت راهبة». فاستوقفني اللفظ، فسألتها: «يعني إيه اترسمت؟» فقالت إنها تعتزل العالم كله خارج الدير حتى لا تشتاق إلى أهلها، وحتى يصبح كل العالم الخارجي من البشر على حد سواء من وجهة نظرها، وكأنهم شخص واحد لا فرق عندها بين أمها أو أختها وبيني مثلًا، وذلك نوع من الجهاد النفسي أنا شخصيًّا لا أستطيعه.

ولكن ما أستطيع وما أريد أن يقدرني الله عليه أن أتعامل فعلًا مع البشر من منطلق الإنسانية البحتة، أيًّا كانت جنسياتهم وانتماءاتهم، وبلادهم وديانتهم، وذلك في التعامل مع البشر عامة، أما طبعًا الأصدقاء

والأهل فالله هو الذي سخر لهم القلوب، والقلوب بيد الرحمن يقلبها كيف يشاء، وديننا عندما جاء فقد جاء ليقول لنا أن نعامل كل البشر من منطلق واحد بالعدل، فهو اسم الله العظيم، العدل المطلق قبل الحب وقبل الكراهية، وقد قال تعالى: «ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى». صدق الله العظيم، ورسولنا أوصانا بحسن المعاملة مع الكافة دون تمييز لأي سبب، ولكننا للأسف نميز بين الناس، ونخضع تعاملاتنا لقوانين نابعة من أفكارنا وعادات تعودنا عليها، ليس لها صلة بالدين.

غرور الرجال



هذه القصة الواقعية إهداء لكل رجل وكل امرأة، طلبت من إحدى الصديقات رأيًا في مشكلة لها، وأخبرتني أنها تطلب الطلاق، وعندما سمعت قصتها أخبرتها أنها هي المخطئة، وودت أن أقص تلك القصة لكم لتكون عبرة للطرفين، فلا تظن لأنها زوجتك ولأنك جميل وذو منصب أنك تمتلك زوجتك وقلبها وعقلها، فقد يأتي من هو أقل منك منصبًا، وأقل منك اجتماعيًّا، وربما شكلًا، فتنشغل به عنك؛ لأنه يقدم لها اهتمامًا وحبًّا، وحتى لو كان مزيفًا ولكنه متقن الصنع.

ولا أقصد بذلك أن الزوجات خائنات، ولكنها مثلك تمامًا، فكما تنشغل أنت بأخرى، قد تنشغل عنك هي بشخص آخر، وأنت لا تدري، ولكنه ما يحدث أحيانًا في الواقع، وقصتي هذه بطلتها امرأة تعيش في أقصى الصعيد ومتزوجة من شخص فاضل علمًا وخلقًا

ومركزًا اجتماعيًّا ووظيفيًّا، وهي لها عملها ولا تقل عنه في تلك الصفات، وكانت لها صديقة من الوجه البحري على نفس المستوى الاجتماعي ومثقفة ولها عملها المرموق أيضًا، ولا أدري ماذا حدث، ولا أعرف ما الذي دعاها للتعرف على رجل آخر غير زوجها، وكانت على اتصال دائم به.

وتعلقت بهذا الرجل وهو تعلق بها، وكانا يتصلان يوميًّا للحديث معًا، وزادت علاقتهما، ثم أرادت تلك السيدة قطع العلاقة، لا أعرف أيضًا السبب، ربما الندم، وربما أحوال زوجها تغيرت معها وأصلح معاملته لها، المهم أنها عندما أخبرت صديق الهاتف ألا يتصل بها، لم يستجب وظل يطاردها، فحكت قصتها لصديقتها الصعيدية، والتي نشأت بينهما الصداقة من خلال الفيس بوك.

فاقترحت الأخرى (الصعيدية) أن تخلصها من هذا الرجل، ومن مطاردته لها، فأخذت منها بيانات عنه وبدأت تحادثه على برنامج بالهاتف يسمى (إيمو)، وهو لا يعطي

للمتصلين أرقام المتصل بهم، ولا مكانه، وكما أخبرتني أنها شغلته تمامًا، وأصبحت مسيطرة عليه، ولا أدري ماذا كانت تقول له، المهم أن صديقتها التي في الوجه البحري، أخبرتها أنه انقطع عن الاتصال بها، وأنها أصبحت في مأمن منه، ثم بعد أن شغلته تلك الصديقة وقامت بدورها قطعت صلتها به وتركته.

وإلى هنا تنتهي القصة لتبدأ قصة أخرى أسوأ، فقد حكت الشابة الصعيدية لزوجها عما فعلته؛ لأنها كما ترى ومن وجهه نظرها هي فقط أنها غير مخطئة، وأنها أنقذت صديقة لها كانت في ورطة، وأنها بذلك فعلت خيرًا، ولكن الزوج الصعيدي بدأ الشك يدخل قلبه، وبدأ يراقبها، ويبحث في هاتفها وساءت العلاقة بينهما وتوترت، وأصبح لا يعطيها حتى حقها الشرعي، وتطور الأمر لطلب الطلاق، بالرغم من وجود أبناء لا ذنب لهم، ولكنه رفض الطلاق لأنه من وجه نظري يحبها وحريص عليها بالرغم من سوء العلاقة.

فقلت لها: أنت مخطئة تمامًا، ما الذي يقحمك في مثل تلك الأمور؟! وما لك أنت وإنسانة أخطأت وعرفت أو صادقت غير زوجها؟! فلتتحمل هي أخطاءها، ولماذا تتصلين بشخص غريب لتشغليه عن أخرى؟! وماذا كنت تقولين له ويعد محرمًا شرعًا؟! وزوجها عنده حق في شكه، بالرغم من أنها لم تقابل أحدًا ولم تخرج مع أحد، وكل ما حدث هو مكالمات هاتفية، ولكنها محرمة (فلا تخضعن بالقول) صدق الله العظيم.

وقلت لها وأقول لكل سيدة: لا تظني أنك عندما تعرفين شخصًا غير زوجك لأنه يهتم بك، وتقررين العودة لزوجك وتقطعي صلتك بالغريب أنك ستعودين دون جروح، في كل الأحوال حياتك ستفسد، مستحيل أن تعيشي سعيدة، مستحيل أن مشاعرك تظل نقية، ولا تبرري إهمال زوجك لك ولا تقتلعي سببًا ليس له وجود ليكون مبررًا للخيانة، وحتى لو أهملك، ابتعدي عنه فتره لتجعليه يفيق مما

هو فيه، فإن استحال الإصلاح، فالطلاق أفضل من الخيانة، حتى بالرغم من وجود الأطفال.

فما فائدة أن تعيشي مثل الأموات لتمنحي جسدك لشخص وفي قلبك وعقلك شخص آخر، والخيانة من وجهه نظري حتى لو بالكلام عبر الهاتف أو الشات، فالخيانة درجات؟؟، والصدق مع النفس هو السعادة، وهو الراحة، وهو الحل الوحيد من وجهه نظري، وأقول لكل رجل كما تدين تدان، ولكن غرورك هو الذي يصور لك أنك أنت الوحيد الذي يفعل الخطأ وأن أهل بيتك في مأمن، العدل يتنافي مع ذلك، فهناك عدالة السماء، والتي لا تعرف الظلم.

قصة من سوريا



آه يا وطني، كل جزء منك يشتكي، كل جزء فيك به جروح، وقلمي يسكت يرفض البوح، تعبت من الحديث، وتعبت من الكلام، تعبت من الآلام.

آه يا وطن يئن، من أين لك بالهدوء والطمأنينة والأمان، ظللنا سنوات تشغلنا فلسطين وحروب لبنان، ثم الكويت والعراق ثم اليمن، ثم احتلال العراق وإشعال الفتن به وتقسيمه طائفيًّا، ومجاعات في الصومال وحروب في السودان شماله وجنوبه، وموريتانيا لا نتحدث عنها وكأنها ليست من الوطن العربي، وثورات في كل مكان، وضحايا من أبناء الشعب الواحد في تونس وليبيا ومصر، وإشعال فتن بين الشعب في البلد الواحد، وبين البلدان بعضها البعض. آه، كل ما يحدث يوجع القلب ويدمي الروح.

اليوم قابلت صديقتي السورية، جاءت من سوريا في زيارة لعمان، التقيت بها وزوجها أول مرة على متن الطائرة ونحن ذاهبون إلى الحج، كانت من ضمن مجموعتي، وأحببتها مرتين، الأولى لأنها صاحبتني في أجمل رحلة في عمري وفي أطهر مكان، وكانت هي وزوجها كأخت وأخ لي، وأحببتها لأخلاقها الجميلة، وافترقنا، ورأيتها بعد ذلك مرتين، وعندما بدأت الثورات في سوريا، قال زوجها: سنعود لنكون في بلدنا ومع أولادنا..

وكان طبيعيًّا كما عدت أنا إلى مصر بعد ثوره ٢٥ يناير لأكون داخل الوطن، وكنا نتهاتف أنا وهي على فترات، إلى أن قابلتها اليوم، فرحت بها، تغير بها شيء، أصبحت ضحكتها مشوبة بحزن، قالت: جئت من تركيا..

فتصورت أنها كانت هناك للسياحة، فأخبرتني أنها الآن تقيم هناك، حكت لي عن الحرب أشياء مثل ما يحدث بالأفلام، قالت لي بأنهم منذ أربعة أشهر طلبوا منها الخروج من المنزل بسرعة (قالوا لها انقلعي)، قالت أريد

أخذ أشيائي وذهبي، رفضوا وخرجت وزوجها، وبعد دقائق كان البيت كومة تراب، قلت لها: فداكي، حمد الله على سلامتك. قالت: شقى عمري وعمر زوجي في الغربة، منزل من أربعة طوابق، مؤثث بأجمل الأثاث وأفخمه، وقالت: حتى الذهب ما استطعت أخذه.

ثم ذهبت إلى تركيا مثلما خرج كثيرون من بلادهم من ويلات الحروب والقذائف، ومع ذلك كان حالها أفضل من كثيرين هناك، فقد خرجت جارتها تجري وهي تحمل طفلتها، ثم اكتشفت أنها تحمل المخدة وتركت الطفلة تحت الأنقاض لتموت، وحكت الكثير من الحكاوي التي تدمي القلوب، ما أقسى الحروب! وما أصعبها! وما أعماها!، لا تفرق بين كبير وصغير، وبين طفل وشيخ، الخوف يذهب العقول، ويذهب التصرف السليم، حتى أنه يعمي الأبصار، آه يا وطني، دعواتي في ليلة الجمعة أن تكف الدماء وأن تمنحنا من اسمك السلام سلامًا.

قلب مجروح

هذه القصة من بلد عربي شقيق، من وادي النيل، لم أشهد أحداثها بنفسي، ولكني سمعتها من صديقة مقربة مني وعزيزة لدي، وهي تحدث كذلك في أغلب البلدان، فتلك القصص متكررة متشابهة.

تزوجت من ابن عمها الذي من الصغر قد اختارها له والده، ووافق والدها على الزواج، فهي تحمل نفس الصفات التي تتحلى بها كل نساء العائلة، وهي التي يطمئن وهو معها كأنما ما زال يعيش في أسرته مع أمه وإخوته، تم الزواج، وعاش العروسان في سعادة، واستمرت الحياة بهما عادية، لا يتخللها إلا ما يحدث في البيوت العادية من شد وجذب، وتعاون، وحب، ومشاجرات، وكل ما يحدث بين الزوجين.

استمر الزواج عشر سنوات، ولكن لم يرزق الزوجان بأطفال، وتلك مشيئة الله، وهي فوق كل مشيئة، ولكن الحب كان وليد القرابة

ووليد العشرة ووليد التقارب بين الزوجين، ولكن يبدو أنه لم يكن كافيًا، كان الزوج يعمل في إحدى المصالح الحكومية، والحياة هادئة، ثم أتت لهم موظفة جديدة، مطلقة ولديها طفل، طبعًا مثلهما مثل أي زميلين يجمعهما العمل، والحديث أحيانًا الذي يتخلل العمل، والتواجد اليومي معًا ثماني ساعات على الأقل.

شعر أنه يحب الوافدة الجديدة، زميلته في العمل، ويبدو أنه شعور متبادل، فهي أيضًا قد تعلقت به، وأصبح الزواج لهما ضرورة، ومكمل لهذا الحب، ففي عائلتهم وفي حياتهم لا بد أن يكون لأي علاقة غطاء شرعي، ولكن بدأت المشكلة، فالزوج الذي يريد الزواج هو متزوج من ابنة عمه، وعمه هو الذي رباه أو شارك في تربيته، وأيضًا لا يستطيع أن يقرر الزواج بسهولة، ولكن في النهاية قرر أن يواجه زوجته ويواجه عمه بما هو مقدم عليه.

فبدأ بزوجته، فقال لها مقدمة طويلة عريضة، شرح لها فيها أنه يحبها جدًّا، وأنه لا يستطيع الاستغناء عنها، وأنه يريد أن تسامحه مهما فعل، وأن كل غايته في الدنيا رضاها،
وحسبما سمعت من صديقتي أنها تعبت جدًّا ومادت الأرض بها وأوشكت أن يغمى عليها وتفقد الوعي خوفًا من أن يخبرها بأن لديه مرض خطير، وأنه سوف يودع الحياة، فهي لم تفهم بالضبط ما الذي يريد أن يخبرها به.

وطلبت منه أن يخبرها ماذا ألم به، وما الداعي لتلك المقدمة الطويلة التي أوشكت أن تقضي عليها، وكان قوله نفسه هو الذي سيقضي عليها، فقد قال لها: أريد أن أتزوج من أجل أن يكون عندي أولاد، ولن أتخلى عنك أبدًا، وأخبرها بأنه تعلق بإنسانة غيرها، وأنه يريد الزواج منها، وأنه لن يبتعد عنها أبدًا؛ لأنها ابنة عمه وزوجته الأولى وغالية عنده و...

وأصابها مرض في معدتها وأصبحت كلما أكلت شيئًا لم يبق في جوفها شيء منه، ثم

توجه هو إلى عمه وأخبره بأنه يريد الزواج من أجل أن ينجب، فكان عمه حكيمًا، وقال له: هذا حقك، ولكن اصبر عامًا أو عامين، ومن حقك بعدها أن تتزوج، ونذهب إلى بعض الأطباء ولن يضيرنا شيء، العمر أمامك وتستطيع أن تتزوج في أي وقت. وسمع الزوج كلام عمه، على أمل أن يتزوج حبيبته الجديدة؛ لأنه واثق أن زوجته لن تنجب.

وتروي لي صديقتي شيئًا غريبًا، فقد أخبرها قريب لهذا الزوج أنه أتاه يومًا وهو حزين جدًّا، وقال له: شفت المصيبة السودة (فلانة حامل) ويقصد زوجته. وحملت زوجته، وفشلت خطته في الزواج من حبيبته الجديدة، كان يريد أن يتزوجها لأنه أحبها، وأن الغطاء الذي استتر به من أجل الزواج بها، وهو الحصول على الأولاد، كان غطاء كاذبًا، وما كانت تلك الحقيقة، فالحقيقة الوحيدة أنه أحبها.

وأصبحت حياته حزينة تعيسة، رغم أن الله رزقه بالولد الذي ظل عمرًا يحلم به، فعلًا

تتغير الأحلام وتتطور الرغبات وتتغير وتتجدد، وفعلًا الإنسان متغير دومًا، وأيضًا لم تنس زوجته الأولى أنه يومًا تطلع إلى غيرها، وأن استمراره معها فقط من أجل الاستمرار كأسرة، ورزقهم الله من الأبناء أربعة، واستمرت الحياة بالزوجين تعيسة، ولا أدري لماذا لم تستطع أن تغفر، ولماذا لم يستطع الزوج أن يسعد بحياته، كل ما سمعته أن الحياة استمرت بينهما بلا لون ولا طعم.

محادثة



كانت موظفة، وحدث خطأ ما منها جعلها تخضع للتحقيق الإداري، وحقق معها وكيل النيابة الإدارية، عندما وقع بصره عليها أعجبته، أو ربما أحبها من أول نظرة، رغم أنه متزوج في بلده، فسألها عن أهلها، واتضح أنه يعرف أحد أقاربها، وأخذ رقم هاتفها لكي يسأل ماذا حدث بالتحقيق والاطمئنان عليها، كانت متزوجة، وكان لديها ولدان، وكانت جميلة جدًّا وتهتم بنفسها، وكان زوجها يعمل بالخليج، ويبدو أن وكيل النيابة أعجب بها من الوهلة الأولى، طلبها ليطمئن عليها وكرر الطلب وتكررت المحادثات بينهما.

عندما بدأتني بالحديث قالت لي: عانيت وما زلت أعاني، لقد تعلقت به وشغلني، وأصبحت أنتظر مكالمته اليومية، وعندما يتأخر تصيبني حالة من القلق والضيق، تعودت على

أن يتصل بي، تعودت على صوته والحديث معه واهتمامه بي..

فقلت لها: وزوجك؟ هل ترتضين أن يتحدث مع أخرى كما تفعلين؟ قالت: لا، ولكنه شيء رغمًا عني، قال لها ذلك الشخص الذي أتى من بلده إلى بلدها للعمل: لو طُلِّقتِ سأتزوجك، وأخبرها بأنه يحبها، أنا صدقته رغم أني لم أره؛ لأني أعرفها هي، وأعرف أهلها، وأعرف أنه لا يمكنه اللعب بها، ولكن هي فكرت واستفاقت وعادت لبيتها، قالت لأخيها كل ما حدث من البداية، وطلبت من أخيها أن يطلب منه ألا يتحدث إليها، أخبرت أخاها بصدق أنها تعلقت بهذا الرجل، كان أخوها رجلًا ناضجًا متفهمًا، ساعدها أن تعود إلى رشدها، وساعدها أن تبتعد عنه، كلمه وهدده ألا يتصل بها مرة أخرى.

وابتعد العاشق الذي رمته الأقدار في الطريق الخطأ، وعادت هي مع نفسها تحاول جاهدة أن تجد لزوجها كل الصفات الجميلة، وأن تتذكر كل الذكريات الحلوة معه، قالت لي

وبالحرف: عشت أجمل أيامي عندما كان يتصل بي، ولكني شعرت بأني أفعل ذنبًا كبيرًا، شعرت بأني أغضبت الله..

وعادت لبيتها، ومرت الأيام والتقيت بها، شاهدت في عينيها راحة ضمير، وما أردت أن أسألها هل ما زال من تجربتها شيء في النفس أم لا، ما أردت أن أوقظ مشاعر ربما يكون بعض منها ما زال موجودًا، أجمل ما في هذه القصة هو الأخ، أعجبتني جدًّا شخصيته ورجولته وتفهمه، أعجبني الفكر الصعيدي الناضح والحنان الصعيدي الذي لا يظهر دومًا، ولكنه يكون مخفيًّا خلف الكلام الغليظ، والأسلوب القاسي أحيانًا.

شعور الأمان



أصعب شيء عندما ينجرح الحب، لا يكون هو الجرح ولا هو الألم، ولا هو إحساسك بأنك فقدت شخصًا تحبه، كل ذلك سهل، فمن السهل أن تحب مرة أخرى أو من الصعب، ولكنك سوف تحب شخصًا آخر، وقد يحبك آخرون أكثر مما كنت تتوقع، وقلبك سوف يستجيب لأحدهم، هذا كله سهل، أما الأصعب فهو أنك لن تستطيع أن تغمض عينيك وتنام بأمان، لن تطمئن بأن الشخص الثاني الذي اخترته لن يخونك أبدًا، مستحيل أن تثق به ثقة عمياء كما كنت سابقًا، مستحيل أن يتسرب إلى قلبك شعور الطمأنينة الكافي واللذيذ والذي يجعلك تشعر أنك تملك الدنيا كلها بين يديك وأنك أخذت منها كل شيء.

سيظل شيء منك متيقظًا منتظرًا الخداع، منتظرًا الخيانة، خائفًا منها أو غير خائف، ولكنه متوقعها باستمرار لا يستطيع هذا

الجزء منه أن يهدأ أو يغمض له جفن، سيظل متيقظًا وستتعب من كثرة التيقظ، كما أن مذاق الطمأنينة مذاق لا يمكن أن تجده في شعور آخر أكبر من شعور بالحب والراحة والسعادة والهدوء والأمل.

شعور الطمأنينة والأمان هو أقصى المشاعر التي لو وصل الإنسان لها لكان أخذ من الدنيا كل شيء، ولكن ذلك لا يجعلنا نفقد الثقة بأن الله هو المقدر لكل شيء، وأن الطمأنينة تأتينا من داخلنا نحن، ومن شعورنا بأن الله هو واهب كل شيء وأن كل شيء في حياتنا من سعادة هو من هبته هو ومن رزقه، اللهم ارزقنا رزقًا حسنًا.

من ملفاتي



بعض ملفاتنا تحمل مواضيع وإن كانت صادقة إلا أنها تتحدث عن مرحلة مرت على خير والحمد لله، وأصبح الحال أحسن، ولكنها من ملفات وأيام بالعمر مضت ولا يمكن نسيانها، وبرغم تغير الحال لأفضل حال، إلا أن في الإنسان جروحًا تترك علامات بالقلب حتى بالرغم من السعادة، فإنها لا تمحى، وتظل طالما وجدنا في تلك الحياة، وتلك القصة بدأت عندما تخرجت من الجامعة وبدأت أذهب للتدرب على المحاماة، وكان جميع الزملاء يجلسون في قاعة نقابة المحامين، يتبادلون الأحاديث القانونية والاجتماعية والسياسية، وأحيانًا الأسرية، وغالبًا ما تتدخل في الحديث لتبدي رأيك فيما يقال، وأحيانًا أخرى تكتفي بالإنصات.

وبدأت تتحدث، وبدأت تظهر الشخصية الداخلية لكل شخص، وفي هذه الحالة عندما

يعجب شخص بشخصيتك، وتشده قوتك، وطموحك، ونجاحك، ويحب فيك كل شيء، ويسعى للارتباط بك، ويجعلك تحبه أو ربما أحببته في ذات الوقت دون أن تدري، وعندما تراه يسعد بنجاحك، ويقدمك للآخرين بفخر، ويستمع لك بإصغاء، ويعجب حتى بذوقك في ارتداء ملابسك، ويرتبط بك فعلًا، وتتشاركان العمل، ولكن عندما يجد نجاحك سيتغلب على نجاحه، عندها يبدأ بالتغير، لا يستهويه نجاحك ويتمنى أن يكون متفوقًا عنك، ولكنه يعلم جيدًا عنادك ويعلم أنك قوي العزيمة، ولا يجد سبيلًا للسيطرة عليك.

فعندئذ يبدأ في محاصرتك بالحب، وبالرغم من أنه حب صادق، ورغم أنه يبذل قصارى جهده لإسعادك، إلا أنه يبدأ في تطويقك، وتقويض شخصيتك، ووضعك داخل مربع من صنعه هو، فلا تستطيع فعل أي شيء، لا لعدم قدرتك، ولكن لأنك تحب أن ترضيه، ولأنك تحبه، وتبدأ شخصيتك تتلاشى أمامه، وتحب

ضعفك معه، وتحافظ على بيتك ووجودكما معًا.

ولكن لا تستمر الحياة دائمًا كما نتمنى، فغالبًا تأتي أحداث تغير مجراها، فلا تسير في اتجاه واحد، فقد يحدث فجأة أن يظهر في حياة أحد الطرفين حب آخر أو توهم بالحب، فيبتعد ويتغير ويجعلك ترى أسوأ أنواع العذاب، عذاب ربما لا يؤذيك بدنيًّا، ولكن يؤذيك نفسيًّا، يتجاهلك ويعذبك، لا ينظر إليك، لا يسمعك، ولا يتحدث معك، وتشعر وكأنك ستتحول لإنسان أخرس، أسوأ عذاب أن تعيش مع شخص وهو كل ما لك، ولكنه يتركك وكأنك بمفردك، بل كأنك قطعة من الأثاث.

ولا يكتفي بذلك، بل يتفنن في أساليب إهانتك النفسية، ويسمعك ألفاظًا تؤذيك، بعد أن كانت كلماته كلها حب، ولا يعبأ لدموعك، ويتحول لجبروت من الغلظة والتجاهل والقسوة، وتتغير شخصيته التي عشقتها، وتتحول كل كلماته إلى أكاذيب، ولا تستطيع أن تميز

كلامه، فلا تعرف إن كان صادقًا فيما يقول أم كاذبًا، وذلك إذا تكلم من الأساس.

تتغير أحوالك، ودون أن تدري تشعر وكأنك تعيش مع شخص لم تعرفه من قبل، ولم تره من قبل، يجعلك تشعر أن الحياة ستنتهي، وأن الموت يحيط بك من كل جانب، وعندما تريد أن تترك له كل شيء وتهرب، فإنه يرفض هروبك، ويشعرك أنك ضمن ممتلكاته، ويتفانى في القضاء عليك، ويقول لك بملء فيه: لن تجد شخصًا آخر يحبك. وأنك شارفت على نهاية حياتك، يريد تحطيم معنوياتك، ويحاول أن يقنعك أنه من الأفضل أن تستمر معه، حتى لو كان في استمرارك موتك.

وفي نفس الوقت الذي هو يعيش حياته لنفسه، يحاول تحطيمك خشية أن تدخل حياة أشخاص آخرين، شيء ما من حب الامتلاك، وحب الذات والأنانية، فتتحول حياتك لأنهار من الدموع، أحيانًا على حبك الذي قتل، وأحيانًا على عمرك الذي ضاع، وأحيانًا على

بيتك الذي بنيته بكل ما تملك من آمال وانهار أمام عينيك.

وعندما تسأله لماذا يفعل بك ذلك؟ لماذا يعاقبك أنت على خيانته هو؟ فلا يجيبك، وعندما تجد في استمرارك معه موتك أنت ونهايتك أنت، والقضاء على ذاتك أنت، ثم تبدأ في مساومته على الخروج من تلك الحياة الموات، وتطلب من أهلك الذين لم تَشْكُ لهم منه أبدًا أن يساعدوك، ويتدخلون وتحصل على الخلاص، وكأنك العصفور الذي ظل حبيسًا فتح له باب القفص.

وتخرج من هذا القفص الذي عشت فيه أجمل الأيام، وعانيت فيه أشد المعاناة، وبكيت فيه حزنًا يكفي عمرك كله، وتقف لتبدأ من جديد، تكون أمام الناس قويًا ولكنها قوة ظاهرية كتمثال مصنوع من حجر، ولكنه أجوف، حتى تبدأ تنزف دمًا من أنفك وأنت لا تعلم سببًا لذلك غير أنه الحزن، وتشغل نفسك بعملك، وتقرر أنه لن يكون لأي إنسان على وجه

الأرض حق أن ينفق عليك، وتقرر أن تعتمد على نفسك ونفسك فقط، وتقرر أشياء كثيرة.

ولكن دائمًا يقابلك في طريقك آخرون، يحاولون منك الاقتراب فلا تسمح لهم، ويحاولون أن يدخلوا حياتك فتتذكر من كان يجثو على قدميه يقبل كفيك عشقًا ومن كنت ترى دموعه عندما يسهر بجانبك وأنت مريض، ولكنه يومًا ما تحول إلى أبشع شخص، عندما تغيرت المشاعر تغير كل شيء، وعندما تراه بعد فترة ينظر إليك نادمًا يود حتى لو يستطيع أن يسلم عليك، وبالرغم من أنك غفرت له، ولكنك لا تستطيع نسيان ألمك أبدًا؛ لأن الجروح تترك أثرًا حتى ولو شفيت، وتجد نفسك سعيدًا بانتصارك، وسعيدًا بأنك وجدت نفسك التي فقدتها، ولكنك مثل كل البشر تبقى بداخلك الذكريات، بحلوها ومرها.

وتلك الذكريات تترك أثرًا لا تمحوه الأيام؛ لأنك عندما تقابل آخرين وتنظر إلى من يتحدثون إليك، فلا ترى على وجوههم سوى كلمة مكونة من أربعة أحرف، لا يراها على

وجوههم سواك، فتقفل أبواب مملكتك عليك، وتعيش فيها سيدًا لنفسك؛ لأنك تقرأ تلك الكلمة مكتوبة بخط واضح لا تخطئه عيناك «كاذب».

نتعلم منهم



أتذكر يومًا كنت أعمل في مكتب، وكانت المنسقة (السكرتيرة) التي تعمل بالمكتب هندية تحمل الديانة الهندوسية (من عبدة البقر)، وكثيرًا ما كانت تحاول إقناعي بأن أكل اللحوم يعجل بالشيخوخة، وأن الأفضل أن آكل خضراوات وفواكه فقط، وكانت تقول إنها نباتية، وطبعًا أنا لا أستجيب؛ لأني نشأت في مجتمع يظهر قدر كرمه بعدد قطع اللحمة التي يقدمها للضيف (هذه مزحة طبعًا)، المهم علمت أنها لا تؤمن بالله الواحد القهار.

وذلك جعل مني مراقبة لسلوكها وما يصدر منها؛ حبًّا في أن أعرف بماذا يأمرها إلهها الذي تعبده، وللحق أقول كانت إنسانة خلوقة، هادئة، تقوم بعملها على أكمل وجه، وبمنتهى الإخلاص، لا تتحدث عن أحد في غيبته، تعامل أسرتها كأحسن معاملة، كانت تحكي أنها تستيقظ في الخامسة صباحًا لتوقظ

أولادها وتفطرهم ثم يذهبون للمدرسة الساعة السادسة، وتوقظ زوجها وتعد له الفطور ليخرج في السابعة ثم تكون هي بالمكتب الساعة الثامنة.

لم أرها يومًا في موقف مشين، لا تحب الحديث مع الرجال، وحديثها كله محوره العمل، ولا تضحك بلا سبب ولا بشكل بذيء، كانت ملتزمة، وذلك يؤكد لي أن الصفات الشخصية موجودة في الطباع، وإلا لما قال الرسول - صلى الله عليه وسلم: «خياركم في الجاهلية خياركم في الإسلام». ولكن الدين ينظم تلك الصفات، وقد يغير من طبائع البشر إلى الأفضل لمن أراد الله لهم الهداية، وأيضًا قد يكتسب الشخص الصفات الحسنة أو السيئة من البيئة.

ولكن ما لفت نظري وما أردت الحديث عنه في تلك الفترة بالذات التي تمر بها بلدنا، هو أنه عندما أتى إلى المكتب (أوفس بوي)، عامل بالمكتب، كان هندي الجنسية، من دولتها، وكان مسلم الديانة فكانت معه

كالأخت الشقيقة، كانت تريد تعليمه اللغة، ويتحدثان كثيرًا جدًّا، وتنصحه لأنه مغترب جديد، كانت تساعده على قدر استطاعتها، وسألت له مدربًا ليتعلم القيادة، وكانت دومًا تسأله عن أخباره.

عندما تسمعهما تشعر أنهما أخوان شقيقان، ولا أنكر أنني شعرت بالغيرة من تلك الدولة التي يتعامل فيها البشر بهذا الحب، وحد بينهم الإقليم الواحد، بالرغم من اختلاف الديانة اختلافًا جذريًّا، فهي لا تؤمن بوجود أنبياء إطلاقًا، ولكنها تحسن معاملة الناس، وتحسن معاملة أبناء بلدها، وذلك بعكس بعض البشر الذين لا يكتفون بالبعد وعدم المساعدة لأبناء بلدهم أو للناس عمومًا، ولكن قد يكونون السبب في الإيذاء حتى ولو بطريق غير مباشر، طبعًا لا أقصد بذلك أشخاصًا بعينهم، ولكن كثيرًا ما حدث ذلك.

وليس معنى ذلك أن كل أهل الهند بنفس الصفات، ولكن أردت أن أوضح أننا في وقت نحن أحوج فيه للتكاتف، ولحب بعضنا

البعض، والعمل على نهضة بلدنا، نحن بحاجة لأن نحب بلدنا أكثر؛ لأن يحب كل منا الخير للآخر، في حاجة إلى ألا تفرقنا سياسة ولا أن نخضع لمن يزرعون الفتن؛ لأن الفتنة أشد من القتل، ولو نظرنا للوطن العربي لوجدنا الفتن في كل مكان وفي كل بلد، وكأنه مخطط بل هو فعلًا مخطط للقضاء على الوطن العربي بأيدي أبنائه، فيجب علينا أن نتوحد، ولا نجعل للفرقة مكانًا بيننا، فلو نظرنا إلى الدين الإسلامي لوجدنا أن حرصه على الجماعة هو أهم ما أتى لأجله، في صلاتنا وفي صيامنا وفي حجنا.

إن الله يحب أن يرانا جماعة، فهل نحقق لله ما يحبه؟ هل نتقن أعمالنا لأن الله يحب أن يرى منا ذلك؟ هل يحاول كل شخص مع نفسه أولًا؟

نقاء



منذ أكثر من عام، كان عندي صديق شاب في بداية عمر الشباب، وكان دائم التعليق على ما أكتب، أنا لم أره مطلقًا ولا رأيت والده ولا والدته، فقط رأيت جده لأبيه مرة واحدة، وعمته كانت تسبقني بالثانوية، وطبعًا كنت أحبه من حبي لأهله، أحترمه كما أحترم كل أصدقائي دون اعتبار لسن أو لمستوى تعليمي أو اجتماعي، فأنا أتعامل مع الكل كإخوة أو أبناء أو آباء، ويربط بيني وبينهم احترام الذات الإنسانية.

وذات يوم دخل لي الخاص وقال لي: إني أحبك. فقلت له: وأنا طبعًا أحبك، فأنا بعتبرك ابني. فرد قائلًا: لا، أنا أحبك وأريد أن أتزوجك (أنا أساسًا في سن والده وليس سن والدته)، فضحكت وقلت له: تتزوجني أنا؟ فقال: أيوة. وأرسل لي قصيدة ركيكة ليس لها أية صلة بالشعر، ولكنها جميلة وصادقة،

وفيها أنني عروسته وأرتدي الفستان الأبيض وأجلس بجواره، وورود ومش عارف إيه.

وغضب جدًّا من استهزائي بمشاعره، فقلت له وبالحرف الواحد: نفرض أنني وافقت، وأن ربنا اداني العمر، وبقيت على قيد الحياة، أنت لسه قدامك تخلص ثانوي، وبعدين الجامعة، وبعدين الجيش، ولو اعتبرنا دي خطوبة طويلة الأجل، طيب أنت يرضيك أجلس جنبك في الكوشة وأنا ماشية على عكاز وسني ستين سنة؟ فرد عليَّ بجملة، وكانت أجمل جملة سمعتها على الإطلاق في كل عمري: أنا أحب روحك.. وأكمل: وما يهمني شكلك.

وبالرغم من أنها طبعًا لا تشكل في حياتي الحقيقية تأثير كونها صادرة من طفل، وبالرغم من أنني أكثرت من معاملتي له وكأنه طفل إلى أن زهق من تلقاء نفسه وابتعد أو ربما وجد ما يشغله، إلا أنني كلما تذكرت النقاء والبراءة التي مرت عليَّ في حياتي، تذكرت تلك الجملة، وتذكرته.

أما ما أضيفه هنا أن هذا السن للأولاد والبنات هو سن النقاء والطهر والصدق فعلًا، فهم لا يعرفون المصالح، ولا يتحدثون بلغة الماديات ولا المادة؛ لأنهم في هذه السن يعيشون بالأرواح فعلًا، ومن صفات مشاعرهم التذبذب والتغير السريع وغير المبرر، فأنا أصدقه فيما قال لأنه لم يرني أبدًا، وأصدقه لأنني عندما كنت في سن المراهقة وكان قبلها مات عبد الحليم حافظ فلم يعنِ موته لي شيئًا، ولكن فجأة وبدون سابق إنذار أصبح عبد الحليم حافظ هو فتى أحلامي، وكنت أتمنى أن أتزوجه وهو ميت، وأنا أعلم أنه ميت، عمركم شفتم هبل وهطل أكثر من كده؟!

واشتريت سلسلة مفرغة ووضعت فيها صورته، كنت كلما أسمعه يغني أبكي، وأذكر يومًا دخلت أمي (ربنا يعطيها الصحة لديها قدر كبير من الوعي) فوجدتني في الغرفة والكتاب مفتوح وعبد الحليم يغني وأنا أبكي، فأشفقت علي وقالت لي: أنتِ لما مات أبوكي

ما بكيتي عليه زي ما بتبكي على عبد الحليم، وأنتِ شاطرة وبتطلعي الأولى، يعني ينفع تضيعي السنة عشان عبد الحليم؟ وأخذت الراديو مني.

وأذكر أننا لم يكن عندنا حينها مسجل، وكنت وأنا في إجازات الجامعة أستمع إلى الراديو بعد انتهاء قنوات التليفزيون الأولى والثانية، فكنت أستمع لبرامج مثل «زيارة لمكتبة فلان»، و«قال الفيلسوف»، وبرامج أخرى، وكانت المذيعة تقول الفقرات والبرامج التي ستذاع إلى الصباح، ومن ضمن ما قالته يومًا: إن عبد الحليم حافظ سيغني أغنية «الحلوة» تقريبًا الساعة «٥:٣٠»، وظللت مستيقظة للصباح لأسمع أغنية «الحلوة».

رغمِ الهبل كانت أيامًا حلوة، وكنت لو أذاعوا له فيلمًا أنظر للتليفزيون ولا أتحرك، ولو انطبقت السماء على الأرض كما يقولون، وإذا تعطل التليفزيون لأنه من أوائل السبعينيات كنت أذهب عند الجيران لمشاهدة الفيلم، وظل عبد الحليم فتى أحلامي حتى

قرب انتهاء دراستي بالكلية، وبرغم أن هذا غير منطقي، ولكنه حدث، وكما أن به قدرًا كبيرًا من الهبل إلا أنه حماني في فترة المراهقة، وما زال إلى الآن صوت عبد الحليم حافظ يجعلني سعيدة، ربما لأن به قدرًا كبيرًا من الصدق والحزن، ولكن أصبح صوت محمد عبد الوهاب إلى نفسي أقرب وأحب، فهو يعزف على أوتار قلبي وأحيانًا يجعلني أبكي حتى عند سماع موسيقاه بلا كلمات.

وسقطت الأقنعة



بعد أن دخلت حياته من باب الصداقة، وحاولت جاهدة أن تباعد بينه وبين زوجته كي تنفرد به، وتحصل عليه كزوج أو كحبيب، وحاولت إقناعه بكل الطرق أنه لا بد أن يكون لديه صديقة، غير زوجته؛ لأنه لا بد أن تكون الصديقة محايدة، وذلك ربما حقيقي من حيث إن الصديقة لن تخاف عليه ولن تقلق مثلما تقلق الزوجة، وقالت له بأنه لا بد أن يذهب للمقهى بعد ساعات العمل ليفصل بين البيت والعمل، وكان كل هدفها أن يبتعد عن زوجته، ولا يتحدث معها، وتستطيع هي بأسلوبها وحديثها السيطرة عليه، وبعد أن حققت طموحها في الوصول إلى حياته، وفي التفريق بينه وبين زوجته، واستجاب لكل ما طلبت، وحصلت عليه كزوج، قالت له: لا صداقة بينك وبين نساء أخريات، ولا تذهب إلى المقهى وتتركني.

وتوقف كل الكلام الجميل الذي كان يسمعه، وظهرت غيرتها من كل الناس، وخوفها من أن تأتي أخرى لتفعل ما فعلت هي، وضاع الاهتمام به، وفقدت الاهتمام بنفسها، واكتشف أن زوجته الأولى كانت أجمل في كل شيء، وكانت محبة بصدق، وكانت تغار حقيقة بدافع الحب، وعلم أنه خسر كل شيء ومن أجل لا شيء، بل اكتشف أنها خائنة، وأن لها أصدقاء غيره، وأنه كان مجرد رقم فقط من الأرقام التي كانت تحتفظ بها من أجل أن تصطاد عريسًا، وأنه هو الصيد الغرير، وسقطت الأقنعة ورآها كما هي، وشكلها الجميل نوعًا ما ظاهريًّا يخفي قبحًا كبيرًا، لا تستطيع أن تمحوه المساحيق ولا أن تعدله الرتوش التي تضعها والألوان، ولكن بعد أن ضاع كل شيء.

أنه ألحد



قالتها لي وكلها حسرة ، وكلها ألم ، فقلت لها ماذا قال ؟ فردت أستغفر الله العظيم ، قال كلام حرام لا أستطيع أن أعيده . إنها صديقتي تحدثني عن ابنها الذي دخل الجامعة هذا العام ، والذي يبلغ من العمر ثمانية عشر عاما ، قالت لي أنها تخاف عليه من غضب الله ، وتخاف أن يدخل النار ، فقلت لها لا تناقشيه ، ولا تتحاوري معه ، فقالت أنه عصبي جدا ويرفض النقاش ، فقلت لها : عصبيته تدل علي أنه غير مرتاح وغير مقتنع تماما بما وصل له . وأن بداخله صراع وأنه لابد أن الشخص الذي يتحدث معه ويناقشه أن يكون علي قدر كبير من القدرة علي الإقناع ، ولديه من العلوم الدينية ما يستطيع به تقديم العون له ، فإن كنتي ضعيفة الحجة فسوف تقوي داخله ما وصل إليه ، وتذكرت حديثها عنه معي ، كانت دوما تقول أنه منطوي علي

نفسه ، وأنه يحب العزلة ، وأنه دائما عالنت ، وأنه ينتمي لمجموعة إلترس ، وللحق هو يحب بلده ، علمت ذلك من حديث أمه معه ، وإن كان حديثها معه قليل جدا ، وكذلك لا يتحدث معه والده ، وأغلب أصدقاؤه من خلال الفيس بوك فقط . وليس معني ذلك أن من يجلسون علي النت قد يلحدون ، كي لا يراقب الأباء أولادهم مراقبة تأتي بنتيجه عكسية ، ولكن طرحت هذا الأمر هنا لأنه أمر خطير ، ولكي أقول للذين لا يعطون أولادهم إهتماما إننا في مرحلة خطيرة ، وأن هناك مدعون ومنافقون وخاربون لعقلية البشر . ظهر قبل ذلك عبدة الشيطان ، وحاول رجال الدين النقاش معهم ونجحوا في ذلك ، وموضوع المذيع الذي أظهر إرتداده عن الدين علي الهواء ، لم يكن موضوعا بسيطا يمر مرور الكرام ، فقد قال اسلام البحيري في حديثة الموجود علي يوتيوب ، لابد أن تشكك المؤمن في إيمانه ، فهي كانت دعوة للالحاد ، وانا حين انشر ذلك الكلام ، فأنني أنشره للعظة ، ولكي يستيقظ الأباء ، ويهتمون

بأولادهم وبناتهم ، لايكفي أن تنفق عليهم ، ولا أن تعلمهم بأفضل المدارس ، يجب أن تبدأ معهم مبكرا حفظ القرآن ، وأن تجعلهم يرون الدين في سلوكياتك ، وفي سلوكيات أمهم . تلك مسئولية كبري ، لأن الله سوف يسألك عنهم ، ولأنك بإهمالك أصبح هناك مجندون للقضاء علي الدين وإستقطاب الشباب ، أنا وجهه نظري الشخصية إنها حرب علي العروبة كلها شعبا وأرضا ودينا . أنها هجمة شرسة لابد من التصدي لها ،بكل الوسائل ، ويجب أن نبدأ من المجتمع الصغير وهو الأسرة ، يجب أن يظهر في سلوكنا الإسلام ، فيري أولادنا ما هو الإسلام ، فلا فائدة فيمن يذهب للصلاة ثم يعود للمنزل ويضرب زوجته أمام أولاده ، ويعلم أولاده الكذب وحب المصلحة ، وكيف يضحك علي الناس ويأخذ حقوقهم ، ولا فائدة من أم تصلي وترتدي الحجاب ، وتقول لأبنها أو بنتها لا تخبري والدك أنني أشتريت كذا ' أو وفرت كذا دون علمه . وتذكرت حديثها سابقا معي من أن زوجها لا يتحدث مع أبنه مطلقا ،

فقلت لها ربما لإنشغاله ، فقالت لي أنه حتي لا يقول له صباح الخير ، وأنه أهمله من الناحية الإنسانية والنفسية كأب ، بالرغم أن هذا الاب يذهب للصلاة بالمسجد دوما ، وبالرغم أن الأم تصلي وتصوم ، ولكن لابد أن هناك خلل، لأن الوضع الأسري السليم والحياة الأسرية الناجحة لا تترك الأولاد دون عناية ودون حديث ، ودون إهتمام ، الإهتمام بالنفس البشرية من الناحية الإنسانية من النقاش والحديث ، لا تقل أهمية عن الإهتمام بالإطعام والتعليم . حقيقة أن الموضع لقاسي جدا وصعب جدا ولابد أن نستيقظ ، ونعرف أن الشباب بعضهم في خطر ، والشباب هم مستقبل الأمة ، فلا تضيعوا مستقبلها ، وتركزوا إهتماماتكم بالإطعام والشراب ، والدخل ، والمقارنة بينكم وبين الآخرين من صاحب الوضع الإجتماعي الأفضل

ولربما خيرا ،،



مازالت روحي تنزف ، ما زلت لا أثق بأحد ، ما زلت لا أصدق أحد كانت تلك كلماتها مع نفسها وهي تضع رأسها فوق كفها علي حائط البلكون تنظر للفضاء البعيد . تذكرته وكم كان يحبها ، بل كان يعشقها ، وكان يقول لها أنه يعبدها فكانت تقول إستغفر الله العظيم مرت سنوات طويلة جدا منذ أن أفترقت عنه ولكن الجرح ما زال عميقا ، وما زال لم يشف رغم أنه من السطح قد تماثل تماما للشفاء ، وأصبح مكانه مثل ندبة ، لا تعيرها إهتماما ، ولكنه ما زال موجودا في الأعماق ، ما زال غائرا ، وبالرغم من أنها قابلت غيره وغيره ولكن كلما أقتربت من أي شخص لا تستطيع أن تصدقة . فكل ما فقدته من حكايتها معه هو الثقة بالناس وربما الثقة بالنفس .
أصبحت لا تصدق كائنا من كان ، لا تصدق أن هناك حب ، ربما هناك إعجاب ، ربما

هناك مصالح ، ولكن حب لا تظن أبدا ، بل هو ضربا من ضروب المستحيل ، ربما لأنها تربط الحب بالإخلاص ، فإذا غاب الإخلاص لا يوجد حب ، ولا يوجد علي وجه الأرض رجلا مخلص ، وحتي الذين لا يقومون بالخيانة فالذي دفعهم إلي ذلك ليس الإخلاص ، ولكنه أشياء أخري ، ربما الخوف من الله ، وربما الخوف من الناس ، وربما عدم الثقة في الطرف الآخر الدخيل ، وربما خوفا من أن ينكشف الأمر ، ولكن ليس لأنهم يحبون فيخلصون لمن أحبوا . فلا يوجد من وجهه نظرها رجل مخلص ، ولكن كيف السبيل للحياة الجافة والتي ليس لها معني ، فهي تحبه برغم أنها تري أنه مثله مثل سابقه ، لأن كل تفكيرها في أن الرجل خائن بطبعه ، ولكن لا تستطيع أن تحيا بدون رجل في حياتها ، فقررت أنها ستتقبل الوضع حتي تثبت لها خيانته ، عندئذ سوف تتركه ، وحتي لو أنجرح قلبها مرة أخري ، وحتي لو عانت روحها من العذاب ، ولكن هي الحياة ، هو الحب ، هو الإحتياج ، فهي دائما تحتاج لرجل

تشعر أنها بلا رجل وكأنها في صحراء قاحلة حتي ولو كان هذا الرجل بعيدا عنها ، أو حتي ولو لم تكن تراه ، ولكن روحها تحتاج لمن يعشقها ، تحتاج أن تشعر أنه هناك في الفضاء شئ قوي يربط بين قلبها وقلب شخص آخر ، حتي ولو كان ذلك الرباط من نور ولا يري ، ولكنها تراه هي وتشعر به هي ، وستظل طوال عمرها تبحث عن ذلك القلب الذي تشعر أنه تتقاسم معه الفرحه والضحة والبكاء ، سيظل دوما ملازما لها هذا الرجاء ، وحتي لو كانت نهايته علي عكس ما تتمني . ولكن بداخلها أمل في أن الأقدار قد تتغير من السماء، ومقلب القلوب بيده الأمر ، فربما ما تخاف منه لا يحدث ، هذا هو حديثها مع نفسها أن صفت وجلست وجها لوجه مع ذلك القابع بين أضلعها ، فغالبا ما ينتهي حوارها معه بعبارة واحدة ولربما خير ،،،،،،،،

خاتمة

تمتلئ حياتنا بأشياء غريبة، ونرى في الواقع قصصًا تقترب من الخيال، ولكن اكتشفت أن الذي نراه في أفلام السينما والذي نقرأه في الأدب الروائي ما هو إلا تصوير للواقع الحقيقي، ولكن لغرابته نظن أن المؤلف اختلقه من عالمه الخاص ومن بنات أفكاره هو.

وأصبحت أرى أنه لو كان بين أي زوجين مشاكل في الحياة، فلا يلزم أن يسافر بها ليغير جوًّا، ولا يلزم أن يذهب بها لنزهة في حديقة أو السينما، كل ما عليهما فعله أن يذهبا ليقضيا يومًا كاملًا لحضور جلسات الأحوال الشخصية، ليشاهدا ما تعج به المحاكم من قضايا، بعضها نظن أنها فوق احتمال طاقة البشر، وأنا أعتقد لو فعل أي زوجان ذلك لحمد كل منهما ربه على النعم التي وهبها إياه، فقديمًا كان العامة يدخلون المحاكم في القاهرة مثلًا للاستماع إلى

مرافعات كبار المحامين، وذلك عندما كان عدد القضايا قليلًا، وبلاغة المحامين كانت كبيرة.

وإن كان البعض لا يحب دخول المحاكم، ولا يحب أن يراه البعض داخل المحكمة، وخاصة لو كان معه زوجته؛ خشية أن يظن أنه دخل إلى المحكمة بناء على استدعاء رسمي على يد محضر.

تم بحمد الله

الفهرس

مغامرة---٧

احتياط واجب-- ١٤

الارتباط الثاني-- ٢٢

الأمان-- ٢٧

الانتقام -- ٢٩

الثقة -- ٣٢

الحب الذي كان -- ٣٧

الربيبة -- ٤٥

الرحيل-- ٤٩

الزواج والقدر--- ٥٣

السر -- ٦٠

السعادة--- ٦٤

الصح والخطأ--- ٦٦

المراهقة الثانية --- ٧٠

جرح القلوب --- ٧٥

خاطرة -- ٧٩

سن الرشد -- ٨٠
صمت النساء -- ٨٦
علمتني درسًا -- ٩٠
غرور الرجال -- ٩٥
قصة من سوريا -- ١٠٠
قلب مجروح -- ١٠٣
محادثة -- ١٠٨
شعور الأمان -- ١١١
من ملفاتي -- ١١٣
نتعلم منهم -- ١٢٠
نقاء -- ١٢٤
وسقطت الأقنعة -- ١٢٩
أنه ألحد -- ١٣١
ولربما خيرا ،، -- ١٣٥
خاتمة -- ١٣٨
الفهرس -- ١٤١

من إصدارات مؤسسة زحمة كُتَّاب



الشعر والخاطرة :

- لابس وش : علاء احمد
- فعشقت مجددًا : احمد لملوم
- امرؤ الهلس : إسماعيل علي
- إنسان فالصو : محمد الشحات
- فأنت تفاح أخضر : عبد الرحمن حميدة
- ضل ونور : لمياء عامر
- تراتيل عاشقة : شاهندة الزيات
- ثورة عاشق لم تكتمل : محمد أبو ذكري
- وجع الحنين : هيام الجمل
- أبجدية حب : كواعب البراهمي

- لك الحب : إيمان زايط

- حب في زمن حزين : السيد حسان

- فراغ عاطفي : على نمر

- ضل ونور : لمياء عامر

- هلاليات : عبد الرحمن الهلالي

- الشتاء الأخير : آية على الشاعر

- منّي لك : عبلة موسى، خالد غازي

- سكتة حب : عبلة موسى

- خلطة مطبعية : إيهاب الكيلاني

- خارج دواير الإنتظار : أحمد رامي عبدالله

- ١/٢ كدر : عثمان عبدالمنعم

- لسه! : رفيدا حسن

- كلمات تروي حكايات : محمد العدلي

- خيال يرتب ألفاظه : د. محمد عبدالله الشيخ
- على ضفاف الزمن مررت بذاكرتي : سهير عبدالله رخامية
- ولي أمل : إسلام عبدالعزيز
- تحيا مصر : خالد غازي

الرواية والقصة القصيرة :

- استربتيز : منة الله رأفت
- الصامتون تحت الأرض : هبة حمدي
- المواجهة الملعونة : محمود شاهين
- العذاب الحلو : سالي غانم
- للأحلام اسم آخر لا نعرفه : محمد صلاح المصري
- طائر في الظلام : إيمان عبد الخالق
- هن : ولاء بيومي

- رجل ضد العالم : سمير زكي

- (HIV) من مذكرات مثلي : علاء أحمد

- للخطايا ثمن : محمد الجعفري

- جريمة أب : حازم خليفة

الكتب المجمعة :

- تيليجرام : شعر

- سيلفي : شعر

- سيجا : شعر

- صف تاني : شعر

- قلم رصاص : شعر

- ترابزين : شعر

- بارانويا : شعر

- بيانولا : قصة قصيرة

- ألوان : قصة قصيرة

- نيكتوفيليا : خواطر
- إنسانوبيكيا : شعر وخاطرة وقصة قصيرة

<u>المقال والدراسات :</u>

- مداد في حب الوطن : د.أحمد السعدي
- يا سكر : كريم عمرو، ياسمين التمامي
- كيميا الحب : سارة حسين
- لا مؤاخذة : أحمد مرسي
- مدن مصر المحروسة (حتمية الموضع، إمكانية الزمان) : على محمود العبادي
- شرائع محرمة : كواعب البراهمي

لطلب إصدارات مؤسسة زحمة كُتّاب للثقافة والنشر، زوروا مقرها في : ١٥ شارع السباق، مول المريلاند، مصر الجديدة، أو زوروا موقعها الإليكتروني لمعرفة أماكـن التوزيـــع على مستـوى الجمهـورية، والدول العربية.

للتواصل :

www.za7ma-kotab.com

www.facebook.com/za7ma

www.facebook.com/za7makotab


za7ma-kotab@hotmail.com


٠١٢٠٥١٠٠٥٩٦



زحمة كُتّاب .. القدرة قرار .